

## جينالوجيا الاختلاف في الخطاب القرآني: مقارنة بينية في أخلاقيات الحوار مع الآخر

محمد سعيد حسب النبي

كلية اللغات- جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب (MSA)

mosaeed@msa.edu.eg

### ملخص البحث:

يهدف البحث إلى استجلاء جينالوجيا الاختلاف في الخطاب القرآني، من خلال تتبع تشكّله من نمط صراعي أولي قائم على الاستعلاء والإقصاء، إلى أفق أنثروبولوجي يؤسس للتعارف بوصفه مقصدًا إلهيًا وآلية لتنظيم العلاقة مع الآخر. وينطلق البحث من إشكالية تتمثل في الفجوة بين البنية الحوارية المنفتحة للنص القرآني، وبين الممارسات التأويلية التي قيّدت هذه البنية داخل أنساق مغلقة عبر السياقين التاريخي والمعاصر. اعتمدت الدراسة المنهج الجينالوجي بوصفه أداة تحليلية لاستقصاء أنساب المعنى، والكشف عن صراعات القوى التي أسهمت في تشكيل دلالات الاختلاف والحوار، وذلك بالاستعانة بمقاربات تحليلية ونقدية وسيميائية حجاجية، ومقارنة بين المقصد القرآني وتمثلاته في التراث التفسيري. وركز البحث على تحليل آيات الحجاج القرآني، وتتبع آليات تفعيلها أو تعطيلها داخل أنظمة الخطاب. وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاب القرآني يؤسس لنموذج حوارى قائم على البرهان والاعتراف المتبادل، غير أن هذه الطاقة الحوارية تعرضت لعمليات تسييج دلالي تحت تأثير أنظمة السلطة والمعرفة، مما أدى إلى تغييب "اللامفكر فيه" في قيم التعددية والعدل. كما أظهرت النتائج أن إعادة قراءة النص القرآني وفق المنهج الجينالوجي تسهم في استعادة فعاليته التواصلية، وتفتح أفقًا معرفيًا يؤسس لأخلاقيات حوار معاصرة قائمة على الحرية والمسؤولية في الاختلاف، بما يعزز إمكانات التعايش والتفاعل الإنساني.

**الكلمات المفتاحية:** جينالوجيا الاختلاف، الخطاب القرآني، أخلاقيات الحوار، مقارنة بينية، إرادة التعارف،

القوى الارتكاسية، اللامفكر فيه، التقييد الدلالي، الآخر.

*TANWĪR: A Journal of Arts and Humanities*

Online ISSN: 3062-4789

Print ISSN: 3062-4797

<https://tanwir.journals.ekb.eg/>

Volume 3, May 2026, Issue (4)

# The Genealogy of Difference in the Qur'anic Discourse: An Interdisciplinary Approach to the Ethics of Dialogue with the Other

## Abstract:

This study aims to explore the genealogy of difference within the Qur'anic discourse by tracing its formation from an initial conflict-based paradigm rooted in supremacy and exclusion to an anthropological horizon that establishes *ta'āruf* (mutual recognition) as a divine purpose and a framework for regulating relations with the Other. The research is grounded in the problem of the gap between the inherently dialogical and open structure of the Qur'anic text and the interpretive practices that have constrained this structure within closed systems across both historical and contemporary contexts. The study adopts the genealogical method as an analytical tool to investigate the “pedigree of meaning” and to uncover the power dynamics that have shaped the semantics of difference and dialogue. This approach is supported by analytical, critical, and semiotic-argumentative frameworks, alongside a comparative examination between the original Qur'anic intent and its representations within the exegetical tradition. The research particularly focuses on the analysis of Qur'anic argumentative verses and the mechanisms through which they have been activated or suppressed within discursive systems. The findings reveal that the Qur'anic discourse establishes a dialogical model grounded in rational proof and mutual recognition. However, this dialogical potential has been subjected to processes of semantic enclosure under the influence of power and knowledge structures, leading to the marginalization of the “unthought” dimensions related to pluralism and justice. The study further demonstrates that a genealogical re-reading of the Qur'anic text can restore its communicative efficacy and open a new epistemic horizon for contemporary ethics of dialogue, based on freedom and responsibility in managing difference, thereby enhancing the possibilities of coexistence and human interaction.

**Keywords:** Genealogy of Difference, Qur'anic Discourse, Ethics of Dialogue, Interdisciplinary Approach, Will to Mutual Recognition, Reactive Forces, The Unthought, Semantic Constriction, The Other.

## المقدمة:

يُطالعا الخطاب القرآني بوصفه فضاءً حوارياً كونياً، يتجاوز كونه مجرد نص تشريعي ليصبح دستوراً وجودياً يؤصل لحقيقة الاختلاف بوصفه قانوناً ناظماً للحياة البشرية. فالقرآن الكريم لا ينظر إلى التنوع البشري كعارض تاريخي أو مأزق اجتماعي، بل يرفعه إلى رتبة الآية الكونية الدالة على حكمة التدبير الإلهي؛ حيث يُؤسس النص لما يمكن تسميته بالطبقة الأنثروبولوجية للاختلاف، وهي المرحلة التي تسبق أي حوار لتؤكد مشروعية الآخر في الوجود. ويتجلى هذا التأسيس في أسمى صوره حين يربط القرآن بين خلق الكون وبين تبين الهويات الإنسانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: 22). إن هذا النص لا يقر بالاختلاف فحسب، بل يجعله موضوعاً للتفكير والتدبر، ناقلاً إياه من مستوى الصدام العبيث إلى مستوى القصد الإلهي الذي يتوج بمبدأ التعارف العالمي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13).

بيد أن هذا الأفق التعددي الواسع واجه عبر التاريخ صيرورات تأويلية معقدة، حيث تداخلت إرادة المعرفة مع أنظمة السلطة، مما أدى إلى تحويل الخطاب من حدث إلهي منفتح إلى نظام خطاب محكوم بآليات الإقصاء (السطاتي وبنعبد العالي، 1986). لقد حوصرت الطاقة الانفتاحية للآيات القرآنية بمدونات تفسيرية تاريخية حولتها إلى أنظمة مغلقة، مما يفرض اليوم ضرورة منهجية لرحضة الفكر الإسلامي نحو آفاق تحليل الخطاب الديني للكشف عن اللامفكر فيه في التراث (أركون، 2001). إن هذه العملية النقدية لا تكتفي بوصف قيم الحوار، بل تسعى لممارسة استقصاء جينيالوجي يستكشف أصول تلك القيم وكيفية تشكلها في رحم الصراع بين القوى الفاعلة التي تطلب التحرر، والقوى الارتكاسية التي تقف على الضغينة والتقليد (نيتشه، 2010).

إن الاستقصاء الجينيالوجي في النص القرآني يكشف لنا عن تشكل الاختلاف في صورته الخام، حيث يبرز الصراع الأولي القائم على الاستعلاء الأنطولوجي، كما في احتجاج إبليس. قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: 12). وهذا الاستكبار هو الجذر الجينيالوجي لكل خطاب إقصائي يرفض الآخر بناءً على الأصل العرقي أو المادي. وفي مقابل هذا الانغلاق، يبني القرآن نسقاً حوارياً مع الآخر العقدي يتسم بالعدل المطلق، داعياً إياهم إلى الكلمة السواء. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: 64). إن هذا النداء يمثل إرادة تعارف فاعلة تقطع مع التاريخ الرسمي للأنظمة السلطوية التي تحتكر الحقيقة (مولينا، 2019)، ويؤسس لأدب اختلاف جعل من الحضارة الإسلامية وعاءً استيعابياً قادراً على هضم ثقافات الأمم دون محو ملامحها (الطيب، 2013).

وعلى صعيد الممارسة الخطابية، يوظف القرآن الكريم الأبعاد الحجاجية كأداة لخلخلة المركزية الذهنية الجامدة لدى الآخر؛ فهو لا يكتفي بالوعظ، بل يطالب الخصوم بالدليل العلمي القاطع. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111). هذا النسق الإقناعي يستهدف تحرير الإنسان من وضعية الجهل والتبعية إلى وضعية الحرية والبرهان (العوكاز، 2021). إن قيم الحوار هنا ليست ترفاً فكرياً، بل هي نداءات تواصلية تستهدف إعادة بناء الشخصية

الإنسانية (عايض، 2014)، وتتجسد في ضوابط أخلاقية صارمة تحترم كرامة المخالف، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125). إن البحث الحالي يسعى لتتبع أنساب المعنى في هذه الخطابات، مستلهماً تجربة زامل (2022) في الكشف عن الروابط الجينيلوجية التي تجعل من الخطاب الإعجازي فعلاً لتعريف الهوية والقيمة خارج أطر الميتافيزيقا التقليدية.

بيد أن واقع الفكر الديني المعاصر يكشف عن فجوة بحثية عميقة؛ حيث ساد انقسام بين المنهج الجينيلوجي الفلسفي وبين موضوع الحوار القرآني. لقد غاب التحليل الاستقصائي للقيم، مما أدى لظهور قراءات ارتكاسية تغلب خطاب الأزمة وتناقض مقاصد النص في التسامح (المياي، 2014). إن نسبة القيم وارتباطها بمن يمتلك سلطة القرار (السنون، 2021) تفرض علينا ممارسة فلسفة الاستقصاء الجينيلوجي (ماريف، 2021) لخلخلة الأنماط الإقصائية التي تدعي الإطلاقة. ومن هنا، تبرز جدة البحث الحالي في كونه يسعى لاستعادة الذاكرة المضادة للنص القرآني، وتفعيل قيم الاختلاف كاستراتيجية جينيلوجية لخلخلة المركزيات التي طمست إرادة التعارف لصالح إرادة الهيمنة.

إن البحث الحالي يهدف إلى إعادة "تبيئة" المنهج الجينيلوجي ليناسب قدسية النص، ليؤكد على المرجعية النهائية في الاختلاف البشري لتظل معلقة باليقين الإلهي، مما ينزع أية شرعية لممارسة العنف باسم الحقيقة. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة: 25). كما يسعى البحث الحالي لاستعادة مفهوم الإنسان الحوارية من ركام التاريخ التفسيري المغلق، عبر إثبات أن الاختلاف في القرآن الكريم ليس مجرد قدر، بل هو فعل حرية ومسؤولية فردية. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: 164).

### مشكلة البحث:

تتبلور مشكلة البحث الحالي في وجود حالة من الانقسام المعرفي بين الثراء الحوارية الذي يمتلكه النص القرآني في بنيته العميقة، وبين الممارسات التأويلية والخطابية التي طرأت عليه في السياقات التاريخية والمعاصرة. فرغم أن القرآن الكريم يؤصل لطبقة أنثروبولوجية تجعل من الاختلاف آية كونية ومقصداً إلهياً للتعارف (الطيب، 2013)، إلا أن الواقع يشهد صعوداً لخطابات إقصائية تعيد إنتاج الصراع الأولي القائم على الاستعلاء، وهو التوجه الذي يجد جذوره الجينيلوجية في منطق ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: 12).

وإن المشكلة لا تكمن في غياب قيم الحوار عن النص، بل في كيفية تشكل القوى التي تحكم فهمنا لهذه القيم؛ إذ يلاحظ أن معظم الدراسات السابقة التي تناولت الحوار في القرآن ظلت أسيرة المنهج الوصفي الاستنباطي، الذي يكفي برصد آيات التسامح والعدل ككتل مثالية دون فحص أنسابها أو تاريخية القوى التي قد تكون حوّلتها من أدوات تحريرية فاعلة إلى قوالب تبريرية ارتكاسية (السنون، 2021).

ومن هنا، فإن البحث الحالي ينطلق من إشكالية مركزية مفادها: أن قيم الاختلاف والحوار في القرآن الكريم قد تعرضت لعمليات تسييح تفسيري تحت إكراهات أنظمة السلطة وإرادة المعرفة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986)، مما أدى إلى طمس الذاكرة المضادة للنص لصالح قراءات ارتكاسية تغذي خطاب الأزمة والتعصب (المياي، 2014). وهذا الوضع يفرض ضرورة ممارسة تحليل جينياولوجي يتجاوز توصيف القيم إلى تفكيك الآليات التي جعلت من بعض الخطابات القرآنية الحوارية مغيبة أو مسلوقة القوة في الوعي الجمعي، والبحث في كيفية إعادة تفعيل إرادة التعارف الفاعلة في مواجهة إرادة الإقصاء الارتكاسية. ومن هنا تتبلور مشكلة البحث في الكيفية التي يمكن من خلالها للاستقصاء الجينياولوجي في الخطاب القرآني أن يكشف عن أنساب تشكّل قيم الاختلاف والحوار، وتتبع الصراع بين القوى الفاعلة التي تؤسس للتعارف بوصفه مقصدًا أنثروبولوجيًا، والقوى الارتكاسية التي أعادت إنتاج منطق الإقصاء والاستعلاء في مستويات التلقي والتأويل.

وتنطلق الإشكالية من فرضية مفادها أن هذا الصراع لم يكن صراعًا دلاليًا مجردًا، بل هو صراع قوى ومعانٍ أسهم في توجيه حضور بعض آيات الحوار وتغييب أخرى، الأمر الذي يستدعي مساءلة تاريخية ومنهجية تتجاوز الوصف القيمي إلى تفكيك شروط التشكّل والتحول داخل الخطاب القرآني نفسه وفي أنظمة تلقيه.

ويتفرع من مشكلة البحث الأسئلة الفرعية الآتية:

#### أسئلة البحث:

1. كيف تشكلت جينياولوجيا الاختلاف في الخطاب القرآني من مرحلة الصراع الأولي القائم على الاستكبار، إلى مرحلة التأسيس الأنثروبولوجي التي تجعل من التعارف مقصدًا إلهيًا؟
2. ما طبيعة القوى الفاعلة والقوى الارتكاسية التي أسهمت في توجيه دلالات آيات الحوار والاختلاف في الخطاب القرآني، وفي أنظمة تلقيه التفسيرية عبر المسار التاريخي؟
3. كيف يتيح المنهج الجينياولوجي الكشف عن "اللامفكر فيه" في آيات الاختلاف والحجاج القرآني، وتحليل آليات تفعيلها أو تعطيلها داخل نظام الخطاب؟
4. ما الأفق المعرفي الذي تتيحه إعادة قراءة أنساب المعنى في الخطاب القرآني لفهم إمكانات بناء خطاب حوارى معاصر قائم على البرهان والمسؤولية في الاختلاف؟

#### أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث الحالي في عدة جوانب نظرية وتطبيقية وفقًا للآتي:

أولاً: الأهمية النظرية:

تكمن الأهمية النظرية في القيمة المضافة للمكتبة العربية والبحث الفلسفي والديني في النقاط التالية:

1. تبيئة المنهج الجينيولوجي: حيث تبرز الأهمية في محاولة تطويع وتبيئة الجينيولوجيا كأداة نقدية وتطبيقها على النص القرآني، مما يفتح آفاقاً جديدة للدراسات البيئية التي تجمع بين الفلسفة وعلوم الدين.
2. إثراء فكر نقد الخطاب الديني: حيث يساهم البحث في تطوير أدبيات نقد الخطاب عبر الانتقال من مجرد نقد الموروث إلى استقصاء أنساب المعنى داخل النص نفسه، مما يعيد الاعتبار للطاقة الحوارية الكامنة في القرآن.
3. تأصيل مفهوم التعارف الأنثروبولوجي: حيث يقدم البحث تأصيلاً نظرياً لمفهوم الاختلاف لا بوصفه مشكلة تحتاج إلى حل، بل بوصفه بنية وجودية وقصداً إلهياً، مما يساهم في بناء نظرية إسلامية معاصرة في التعددية.
4. كشف آليات نظام الخطاب: حيث تظهر الأهمية في كشف الكيفية التي تتدخل بها إرادة السلطة والقوى الارتكاسية في توجيه دلالات النصوص، مما يثري الفهم النظري لكيفية تشكل المعنى الديني عبر التاريخ.

ثانياً: الأهمية التطبيقية:

تتجلى الأهمية التطبيقية في الانعكاسات الملموسة للبحث على الواقع الفكري والاجتماعي، وذلك على النحو الآتي:

1. تفكيك خطاب الكراهية والتعصب: حيث يساهم البحث إجرائياً في تعرية الجذور الارتكاسية لخطابات الإقصاء، عبر إثبات أن هذه الخطابات هي نتاج موازين قوى تاريخية وليست تعبيراً عن المقصد القرآني الأصيل.
2. استعادة سلطة البرهان: حيث يرفد البحث المؤسسات التربوية والدينية بنماذج تطبيقية حول كيفية استعادة الأبعاد الحجاجية في القرآن. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111) مما يساعد في تربية جيل يؤمن بالحوار القائم على العقل لا على الإكراه.
3. تقديم بديل لخطاب الأزمة: حيث يوفر البحث مادة معرفية لصناع القرار والمفكرين لصياغة خطاب حوارى معاصر يستند إلى المسؤولية الفردية في الاختلاف. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ (الأنعام: 164)، مما يقلل من حدة الصراعات العقدية والمذهبية.

4. تفعيل قيم الحوار إجرائياً: فبدلاً من بقاء قيم (العدل، والرفق، والكلمة السواء) مجرد شعارات، يضع البحث يد القارئ على آليات تفعيل هذه القيم داخل الخطاب المجتمعي لتحقيق السلم المدني والتعايش العالمي.

### هدف البحث:

يتمثل هدف البحث في استجلاء الاستقصاء الجينيولوجي المعمق لآليات الاختلاف والحوار في الخطاب القرآني، يتجاوز المقاربات الوصفية التقليدية نحو تشریح أنساب المعنى وصراعات القوى الكامنة خلف تشكّل القيم الحوارية. كما يهدف إلى تتبع الصيرورة الجينية للاختلاف من لحظة الصراع الأولي القائم على الاستكبار الإقصائي كما صورته النص في منطلق إبليس، وصولاً إلى مرحلة التأسيس الأنثروبولوجي الذي يجعل من التعارف مقصداً إلهياً وضرورة وجودية. كما يصبو البحث إلى كشف اللامفكر فيه في أنظمة التلقي التفسيرية عبر التاريخ، لتعرية القوى الارتكاسية التي حاصرت النص بمدونات مغلقة، وذلك بغرض استعادة الطاقة التحررية لآيات الحجاج والبرهان، وتفعيل إرادة التعارف الفاعلة كبديل لخطابات الأزمة والتعصب، وصولاً في نهاية المطاف إلى بلورة رؤية معرفية تساهم في صياغة خطاب حوارى معاصر يرتكز على قيم الحرية والمسؤولية الفردية في الاختلاف كما أرادها النص القرآني.

### منهج البحث:

يعتمد البحث الحالي بصفة رئيسة على المنهج الجينيولوجي (Genealogical Method) بوصفه أداة نقدية واستقصائية لتفكيك أنساب القيم وصراعات القوى داخل الخطاب. ولا يكتفي البحث بالتوظيف الآلي للمنهج في السياق الذي أورده نيتشه أو فوكو، بل يعمل على "تبيئته" بما يتناسب مع خصوصية النص القرآني، وذلك من خلال المسارات المنهجية التكميلية التالية:

- المنهج الجينيولوجي (الاستقصائي): ويُستخدم لتتبع جذور القيم الحوارية وكيفية تشكلها، والبحث عن اللحظات التي تحولت فيها هذه القيم من قوى فاعلة تطلب التعارف إلى قوى ارتكاسية تخدم الإقصاء. وهذا المنهج يسمح بالدخول إلى عمق المعنى للكشف عن إرادة القوة التي وجهت التفسير والتلقي.
- المنهج التحليلي النقدي: ويُوظف لتشریح أنظمة الخطاب في المدونات التفسيرية، ومساءلة اللامفكر فيه في التراث الحوارى. ويهدف هذا المسار إلى الكشف عن الآليات التي تم من خلالها تسييج النص القرآني وتحويله من فضاء مفتوح على البرهان إلى أنظمة معيارية مغلقة.
- المنهج السيميائي الحجاجي: ويُستفاد منه في تحليل آيات الحجاج القرآني، لفهم كيفية بناء السلطة الإقناعية في النص، وكيفية توظيف الكلمة السواء والبرهان لخلخلة المركزيات الاستعلائية.

- المنهج المقارن: ويُستخدم للمقارنة بين المقصد الأنثروبولوجي الأصيل في النص القرآني وبين تمثلات هذا المقصد في الفكر التفسيري عبر المسار التاريخي، لإبراز الفجوات والمفارقات بين إرادة الوحي وإرادة المفسر.

### مصطلحات البحث:

#### 1- الاستقصاء الجينولوجي (Genealogical Inquiry) :

يعرف الاستقصاء الجينولوجي اصطلاحاً بأنه المنهج القائم على الاستقصاء النفسي والتاريخي كأداة نقدية لتفكيك المفاهيم، وتقويض الأوهام الميتافيزيقية المحيطة بأصل القيم لتبيان ارتباطها بصراعات القوى (نيتشه، 2010). كما يُعرف بأنه ذاكرة مضادة تهدف للقطع مع التاريخ التقليدي والعمل كأداة إجرائية لتحرير الحقيقة من إكراهات أنظمة السلطة والمعرفة (مولينا، 2019).

ويعرف إجرائياً بأنه تتبع أصول قيم الحوار في القرآن وكشف صراعات القوى (الفاعلة والارتكاسية) التي شكلت فهمنا لهذه القيم عبر التاريخ.

#### 2- الخطاب القرآني (Quranic Discourse) :

يعرف اصطلاحاً بأنه نص يمتلك طاقة انفتاحية هائلة، إلا أن المدونات التفسيرية التاريخية حاصرت هذه الطاقة وحولتها إلى أنظمة مغلقة، مما يستوجب الكشف عن اللامفكر فيه داخل هذا الخطاب (أركون، 2001). كما يُنظر إليه كمجال للصراع وليس مجرد وسيلة تعبير، لكونه محكوماً بأنظمة خفية تفرضها السلطة (السلطاني وبنعبد العالي، 1986).

أما إجرائياً فهو الوحي الإلهي المنظور إليه في البحث كبنية حوارية تواصلية تتضمن استراتيجيات حجاجية وقيمية تهدف لبناء علاقة مع الآخر.

#### 3- القوى الفاعلة والقوى الارتكاسية (Active and Reactive Forces) :

تعرف اصطلاحاً بالثنائية التي تصنف القيم بين أخلاق السادة كقوى فاعلة تطلب السيادة والبناء، وأخلاق العبيد كقوى ارتكاسية قائمة على الضغينة والارتكاس التاريخي (نيتشه، 2010).

وتعرف القوى الفاعلة إجرائياً بأنها المعاني القرآنية الداعية للتعارف والبرهان والحرية، بينما تعرف القوى الارتكاسية إجرائياً بأنها القراءات التفسيرية التي تميل للإقصاء والانغلاق وتسييح النص.

#### 4- اللامفكر فيه (The Unthought) :

يعرف اصطلاحاً بأنه المساحات المعرفية في التراث التي حُجبت عن المساءلة والعقل نتيجة هيمنة القراءات التقليدية، مما جعل النص القرآني يبدو كنظام معياري مقيد بدلاً من كونه فضاءً مفتوحاً (أركون، 2001).

أما المعنى الإجرائي فيعني القيم الحوارية الكامنة في القرآن التي تم تغييبها أو تعطيلها لصالح خطابات الصراع والهيمنة.

#### 5- أنساب المعنى (Pedigree of Meaning) :

تعرف اصطلاحاً بالبحث الجينولوجي الذي يعد الأداة الأقدر على تعرية القيم التي تدعي الإطلاعية والكونية وربطها بسياقاتها البشرية والنسبية المرتبطة بفئة تمتلك سلطة القرار (السنون، 2021).

وتتبع إجرائياً الصيرورة التاريخية لمفهوم الاختلاف وكيف تحول من مقصد للتعرف إلى أداة للإقصاء في بعض القراءات.

#### الإطار النظري:

يمكن استعراض الإطار النظري للبحث وفقاً للمحاور الآتية:

#### المحور الأول: جينولوجيا الصراع والانفتاح (من الأنا الاستعلائية إلى الآخر المتمايز)

يركز هذا المحور على تتبع الأصول الأولى لتشكيل مفهوم الآخر في النص القرآني. حيث ينطلق البحث الحالي لتتبع أنساب المعنى من اللحظة التي يتشكل فيها الاختلاف في صورته الخام المتجسد في الاستكبار والإنكار، وتتجلى هذه اللحظة في المواجهة الأولى بين إبليس وخطاب التكليف الإلهي ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

#### 1- جذور الاستكبار والإقصاء:

تتمثل جذور الاستكبار والإقصاء في خطاب إبليس، كما تجلى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ (الأعراف: 12)، وهو يمثل الصورة الخام للاختلاف غير المنضبط أخلاقياً، والقائم على المفاضلة العرقية والرفض الارتكاسي. إذ يمثل خطاب إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ الطبقة الجينولوجية الأولى لنشأة إرادة الإقصاء؛ حيث تأسس الاختلاف هنا على وهم الأفضلية العرقية والمركزية الذاتية التي تلغي الآخر قبل محاورته. ويمثل استناد إبليس إلى مادة الخلق (النار) أول عملية تسييح معرفي في التاريخ، حيث تم توظيف المعرفة (أصل الخلق) لخدمة إرادة القوة الارتكاسية، مما أدى إلى تعطيل إمكانية التعارف

وتحويل العلاقة مع الآخر إلى صراع وجودي يهدف إلى الاحتناك والاستحواذ، وهو ما يسعى الجينولوجي لتفكيكه عبر تتبع بذور الاستكبار في الخطابات الإقصائية المعاصرة (نيتشه، 2010؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

## 2- التأسيس الأنثروبولوجي للتنوع:

وفي مقابل جذر الاستكبار، يطرح الخطاب القرآني التأسيس الأنثروبولوجي للتنوع كاستراتيجية لإعادة بناء العلاقة مع الآخر؛ حيث يتم نقل الاختلاف من مستوى الصدام إلى مستوى القصد الإلهي. ويتجلى الآخر كبنية وجودية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، حيث تبرز إرادة التعارف بوصفها قوة فاعلة تهدف إلى الاعتراف المتبادل لا الاستحواذ. وإن هذا التأسيس يعمل على تقويض المركزية العرقية التي تتغذى على وهم الأفضلية، محولاً تباين الألسن والألوان إلى آيات كونية تستوجب التدبر والإنصات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: 22). وبذلك، يستعيد النص الطاقة التحررية التي تجعل من الاختلاف شرطاً لإمكانية المعرفة الكونية، ومجالاً لتفعيل المسؤولية الأخلاقية (التقوى) بعيداً عن تسييح الهويات الضيقة أو إكراهات أنظمة الهيمنة (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ويمكن تتبع آليات هذا التأسيس الأنثروبولوجي عبر المستويات الجينولوجية التالية:

أ. الانتقال من صدام الطبائع إلى وحدة الأصل وتعدد المسارات:

حيث يؤسس القرآن للآخرة عبر آية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ (الحجرات: 13) ليعلن أن التمايز ليس خللاً في الخلق، بل هو تصميم مقصود جينولوجياً، وهذا النص يعمل على تقويض أنساب الاستعلاء؛ فبينما كان إبليس يرجع الفضل لمادة النار، يعيد القرآن رد التنوع إلى الإرادة الإلهية الواحدة، مما يلغي شرعية أي تفوق عرقي أو جيني ويؤسس لما يسميه أركون أنسنة التنوع (أركون، 2001).

ب. مفهوم التعارف كبنية وجودية تواصلية:

إن آية ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13) لا تعني مجرد المعرفة السطحية، بل هي إرادة تعارف فاعلة. وإن التعارف هنا هو نقبض الاحتناك الإبلسي؛ فإذا كان الاحتناك يهدف إلى الاستحواذ، فإن التعارف يهدف إلى الاعتراف المتبادل. وإجرائياً، ينتقل الاختلاف هنا من كونه عائقاً إلى كونه شرطاً لإمكان المعرفة، وبدون الآخر المتمايز، يظل الإنسان حبيس أناه الضيقة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

إن هذا التأسيس الأنثروبولوجي للاختلاف لا ينفصل عن الرؤية المثالية التي يقدمها الخطاب القرآني؛ حيث ترتكز أخلاقيات الحوار على قيم عليا ثابتة (كالعدل والإحسان) تتجاوز النسبية التاريخية. فكما تتجلى الفلسفة المثالية في الخطاب القرآني من خلال أسبقية الفكر والمطلق، فإنها تمنح الحوار مع الآخر مرجعية قيمة

صلبة تمنع تحوله إلى صراع قوى مادي، وتؤصل لمركزية العقل والتفكر كوسيلة لإدراك الحقيقة الحوارية (حسب النبي، 2026).

ج. الآخر كآية تعبر عن جماليات التعدد: ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: 22)، يتم إضفاء صفة القداسة على الاختلاف عبر تسميته آية. وجينولوجياً، يمثل هذا الطاقة التحررية في النص التي تقاوم محاولات التنميط أو التسييح التي تمارسها القوى الارتكاسية عبر التاريخ لفرض لون واحد أو لغة واحدة أو فهم واحد (الميلي، 2014).

د. تجاوز المركزية العرقية نحو التقوى كمعيار أخلاقي: وتتجلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13) فالتقوى كمعيار للسيادة، والتقوى في سياق التعارف هي المسؤولية الأخلاقية تجاه الآخر. وهذا يمثل القطيعة الكبرى مع أنساب القوة المادية، ويؤصل لخطاب حواري يركز على القيمة الإنسانية والعمل، لا على الهوية الموروثة (السنون، 2021).

### 3-الاختلاف كآية كونية:

يتجاوز الخطاب القرآني توصيف الاختلاف كمعطى بشري ليمنحه مرتبة الآية الكونية التي تقترن بعظمة خلق السماوات والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: 22). إن هذا الربط الجوهرية يهدف إلى نزع صفة العارض أو الخلل عن التعددية الإنسانية، وإضفاء صبغة القداسة والشرعية الوجودية عليها. ومن منظور جينولوجي، فإن هذا النص يعمل كقوة تفكيكية لخطابات التنميط الإقصائية التي تسعى لفرض أحادية اللون أو اللغة أو الفكر، معتبراً أن محاولة محو الاختلاف هي ممانعة لإرادة الخلق وتسييح للطاقة التحررية الكامنة في التنوع الكوني (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ويمكن تتبع أبعاد هذا التأسيس الكوني عبر النقاط التالية:

أ. جماليات التعدد وتقويض وهم المركزية:

وذلك بجعل اختلاف الألسن والألوان آية، حيث يحزر القرآن المعنى من المركزيات الضيقة (سواء كانت لسانية أو عرقية). وجينولوجياً، هذا يقطع الطريق على أية إرادة سلطة تحاول جعل لغتها أو لونها هو المعيار الأوحده للحقيقة، ويؤصل لما يسمى بجماليات التعدد التي ترى في الآخر المغاير مكملاً لآية الخلق لا تهديداً لها (مولينا، 2019).

ب. الاختلاف كقدر إلهي لا كخطأ تاريخي:

بينما تميل القوى الارتكاسية في التراث والممارسة التاريخية إلى اعتبار الاختلاف فتنة أو انحرافاً يجب تقويمه، يثبت النص القرآني كقدر مقصود. ومن ناحية إجرائية يفرض هذا التحول ضرورة تشريح الخطابات التي توظف النص لتعطيل التعددية، والكشف عن القوى التي جعلت من آية الاختلاف مصدراً للصراع بدلاً من كونها مجالاً للتعارف (المياي، 2014).

ج. تفكيك تسييج الهويات باللغة واللون:

إن حصر الهوية في لسان واحد أو عرق واحد يمثل نوعاً من العبودية والتقليد. وي طرح قول اللع تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: 22) أفقاً يتجاوز التسييج المعرفي الذي تفرضه أنظمة السلطة. ومن وجهة نظر جينيا لوجية، فإن التنوع اللساني والعرقى هو ضمانة لعدم استئثار جهة واحدة بامتلاك الحقيقة، مما يفتح الباب أمام أنساب معنى متعددة تشترك في بناء الخطاب الإنساني المعاصر (السنون، 2021).

د. الربط بين النظام الكوني والنظام الإنساني:

يرفع اقتران اختلاف الألسن بخلق السماوات من قيمة الآخر ليصبح التعامل معه تعاملاً مع آية إلهية. ويؤصل هذا التأسيس لإرادة معرفة فاعلة تطلب الحوار والبرهان، ويقطع مع إرادة الإقصاء الارتكاسية التي ترى في المغايرة اللسانية أو الثقافية نقصاً يجب محوه أو استيعابه قسراً (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

### المحور الثاني: تجليات الحوار مع الآخر وتفكيك أنظمة السلطة والمعرفة

يحلل هذا المحور مواجهة الخطاب القرآني للأنماط المتعددة من الآخر عبر استراتيجيات حوارية متنوعة، وذلك على النحو الآتي:

#### 1- الحوار مع الآخر العقدي (المشركون وأهل الكتاب):

يتجلى الحوار مع الآخر العقدي في الخطاب القرآني كاستراتيجية لتفكيك المركزية العقائدية الصلبة وإعادة بناء العلاقة على أسس برهانية وتواصلية. فبينما يواجه الخطاب موقف المشركين الراض للتغيير والتمسك بأساطير الأولين في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النحل: 24)، فإنه يفتح مع أهل الكتاب أفقاً مغايراً يتأسس على الكلمة السواء. قال تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: 64). وإن هذا التباين في الاستراتيجيات الحوارية يكشف جينيا لوجياً عن إرادة معرفة فاعلة تسعى لتجاوز تسييج المعتقد التاريخي نحو فضاء المجادلة التي هي أحسن. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: 46)، وهو ما يمثل طاقة تحررية تقاوم إكراهات أنظمة السلطة التي تسعى دوماً لتحويل الاختلاف العقدي إلى صراع إقصائي (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ويمكن تتبع آليات تفكيك أنظمة السلطة والمعرفة في هذا الحوار من خلال الآتي:

أ. تفكيك سلطة التقليد (أساطير الأولين):

يحلل الخطاب القرآني موقف المشركين بوصفه ارتكاساً نحو الأصل الموهوم والتقاليد الجامدة التي تحجب الحقيقة. وجينولوجياً، تمثل عبارة ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ نوعاً من التسييح المعرفي الذي تمارسه القوى التقليدية لرفض أي إرادة تغيير فاعلة. ويعمل الحوار هنا كأداة تشريحية لتعرية هشاشة الاستناد إلى أنساب المعنى الموروثة دون برهان، واستبدالها بسلطة العقل والمساءلة (المياي، 2014).

ب. الاستراتيجية التواصلية والكلمة السواء:

يمثل النداء في قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً سَوَاءٍ﴾ قمة إرادة التعارف الجينولوجية؛ فهو انتقال من منطق الإلغاء إلى منطق الأرضية المشتركة. ومن ناحية إجرائية يفكك هذا النص مركزية الذات العقدية التي ترى في الآخر نقصاً، ويؤسس لنسب جديد للمعنى يقوم على التكافؤ الحوارية. إنها محاولة لكسر إكراهات إرادة الإقصاء التي غلبت على أنظمة التلقي التاريخية، واستعادة الطاقة الحوارية التي تمنح الآخر حق الوجود والاختلاف (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ج. أخلاقيات التي هي أحسن وتقويض الضغينة:

إن التوجيه القرآني في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: 46) هو تفكيك جينولوجي للقوى الارتكاسية القائمة على الكراهية أو الانفعال الإقصائي. وجينولوجياً، الأحسن ليس مجرد أسلوب، بل هو قوة فاعلة تهدف لتحرير الحوار من إرادة القهر وسلطة الإكراه. وهذا التأصيل يقطع مع أنساب الصراع ويؤسس لخطاب حوارية معاصر يرتكز على المسؤولية الأخلاقية والاعتراف المتبادل (نيتشه، 2010؛ السنون، 2021).

د. تفكيك ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة:

ويأتي عبر التساؤل الاستنكاري في قول الله تعالى: ﴿لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ (آل عمران: 65)، حيث يفكك القرآن محاولات الاستحواذ على الرموز التاريخية وتسييحها داخل هويات ضيقة. وجينولوجياً، يكشف هذا المسلك عن كيفية توظيف أنظمة المعرفة الدينية لتعزيز سلطة فئة معينة، بينما يعيد الخطاب القرآني رد الأنساب إلى أفقها التوحيدية الإنساني الواسع، محطماً بذلك جدران الذاكرة المغلقة (أركون، 2001).

## 2- الحوار مع الآخر السياسي-السلطوي:

يمثل حوار موسى مع فرعون في الخطاب القرآني ذروة المواجهة الجينولوجية مع إرادة السلطة في صورتها الشمولية الأحادية؛ حيث يسعى موسى لتفكيك ادعاءات الألوهية والملك المطلق عبر استراتيجية حوارية تخلص مركزية الأنا السلطوية. ففي مواجهة تساؤلات فرعون الإنكارية والاستعلائية، يطرح موسى بياناً لربوبية الله الشاملة تجلى في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: 49-50). إن هذا الحوار ليس مجرد سجل ديني، بل هو استقصاء في أنساب السلطة يهدف إلى تجريد الطاغية من شرعيتها المعرفية والمادية، وإعادة الاعتبار لكرامة الإنسان وحرية في مواجهة أنظمة القهر (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ مولينا، 2019).

ويمكن تتبع آليات تفكيك أنظمة السلطة في هذا النموذج عبر النقاط التالية:

أ. تفكيك الأنا المتألهة وكسر التسييح السلطوي:

يواجه موسى منطق فرعون القائم على الاستحواذ ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف: 51) بمنطق الربوبية العامة. وجينولوجياً، تمثل دعوى فرعون أقصى درجات التسييح للواقع والإنسان تحت إرادة فردية واحدة. والحوار هنا يعمل كقوة فاعلة تهدف لخلخلة هذا النظام المغلق، وتحرير اللامفكر فيه في وعي المستضعفين، وهو أن السلطة ليست قدراً مطلقاً بل هي بناء زائف يمكن تقويضه بالبرهان (أركون، 2001؛ نيتشه، 2010).

ب. الاستراتيجية البرهانية في مواجهة التهديد:

عندما يلجأ فرعون للقوة الارتكاسية والتهديد كما في قوله تعالى: ﴿لَئِن اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: 29)، يظل موسى مستمسكاً بسلطة البرهان ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: 30). وإجرائياً، يكشف هذا المسلك عن الصراع بين إرادة القهر (فرعون) وإرادة الحقيقة (موسى). إن تفعيل الشيء المبين هو محاولة لكسر إكراهات أنظمة السلطة التي تسعى دوماً لتعطيل العقل واستبداله بالإرهاب المادي (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ج. تفنيد أنساب الأفضلية السياسية:

يسخر فرعون من موسى بناءً على معايير مادية وعرقية. قال تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ (الزخرف: 52). وجينولوجياً، هذا هو ذات النسب الارتكاسي الذي بدأه إبليس (أنا خير منه). ويفكك الحوار الموسوي هذه المركزية العرقية والطبقية، معيداً تعريف الخيرية والسيادة بناءً على الحق والعدل، ومقدماتاً نموذجاً لخطاب حوار لا يرهبه تسييح القصور ولا سطوة الآلة العسكرية (المياي، 2014؛ السنون، 2021).

د. تحويل الحوار من المواجهة الشخصية إلى القصد الكوني:

وذلك من خلال بيانه والذي تجلى في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (طه: 50)، ينقل موسى الحوار من دائرة الصراع الفردي مع فرعون إلى رحابة الآية الكونية. وجينياالوجياً، هذا التوسع يهدف إلى نزع صفة القداسة عن الحاكم وإعادتها للخالق وحده، مما يفتح الأفق أمام الإنسان للتحرر من العبودية والتقليد للطاغية، وتفعيل إرادة المعرفة الحرة التي ترى في الوجود كله مجالاً للتعرف والتدبر (أركون، 2001).

### 3-الحوار مع الآخر الفكري-الفلسفي:

يُمثل حجاج إبراهيم -عليه السلام- في الخطاب القرآني الأتمودج الأرقى للحوار الفكري الذي يسعى لتفكيك الأحادية المرجعية والارتهان للمسلّمات الجاهزة. ففي مواجهته مع النمرود في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: 258) ومع قومه في قوله تعالى: ﴿أَتَحْجُوتُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ (الأنعام: 80)، لا يكفي الخطاب بتقديم إجابات إيمانية، بل يؤسس لسلطة البرهان كأداة استقصائية لمواجهة التقليد الأعمى وتسييح العقل. إن هذا المسلك الحجاجي يعكس إرادة معرفة فاعلة تهدف إلى تحرير الوعي من سلطة الموروث الجامد وإعادة بناء العلاقة مع الحقيقة على أسس منطقية ووجودية منفتحة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ويمكن تتبع آليات تفكيك أنظمة المعرفة والتقليد في هذا النموذج من خلال الآتي:

أ. تفكيك سلطة المركزية الذاتية بالبرهان الكوني:

في حجاجه مع النمرود، ينتقل إبراهيم من الجدل حول مفاهيم مجردة (الإحياء والإماتة) إلى طرح برهان كوني لا يقبل التأويل الأوحده. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: 258). وجينياالوجياً، هذا يمثل كسراً لتسييح المعنى الذي يمارسه المستبد لإخضاع الواقع لمنطقه الخاص، حيث يعمل البرهان هنا كقوة تفكيكية تبهت القوى الارتكاسية وتكشف زيف ادعاءاتها (مولينا، 2019؛ نيتشه، 2010).

ب. تقويض أنساب التقليد (الآبائية):

يواجه إبراهيم قومه بتفكيك مرجعيتهم القائمة على المحاكاة والتبعية في قوله تعالى: ﴿أَتَحْجُوتُنِي فِي اللَّهِ﴾ (الأنعام: 80). وإجرائياً، هذا السؤال الاستنكاري هو دعوة لقطع الصلة مع الأنساب المعرفية الزائفة التي تستمد شرعيتها من القدم لا من الحق. والحوار هنا يؤسس للمسؤولية الفردية في التفكير، محطماً أنظمة العبودية والتقليد التي تمنع الإنسان من ممارسة حريته كذات واعية ومستقلة (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

ج. سلطة البرهان كبديل للإكراه الفكري:

إن إصرار إبراهيم على الحجة في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (الأنعام: 83) يؤصل لخطاب يرفض الإقصاء القائم على القوة المادية. وجينياولوجياً، الحجة هي القوة الفاعلة التي تطلب الاعتراف من خلال الإقناع لا القهر. وهذا المسلك يقطع مع إرادة الهيمنة التي تحاول فرض تصوراتها بالقوة، ويفتح المجال أمام فضاء حوار ياحترم الآخر الفكري ويخضعه لميزان البرهان وحده (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

د. تجاوز اللامفكر فيه في الموروث العقدي:

من خلال تساؤلاته وتأملاته في الكواكب والقمر والشمس، يعلمنا إبراهيم كيفية اختراق مساحات اللامفكر فيه التي فرضها المجتمع حول المقدسات الزائفة. وجينياولوجياً، هذا البحث هو محاولة لاستعادة الطاقة التحررية للعقل، وربط الإنسان بإرادة التعارف الكونية مع الحقائق، بعيداً عن تسييج الأنظمة التقليدية التي تجعل من التساؤل الفكري انحرافاً (أركون، 2001؛ الميالي، 2014).

### المحور الثالث: ميكانيزمات تسييج المعنى وتعطيل الطاقة التحررية

يسعى هذا المحور إلى كشف الميكانيزمات الخفية التي مارست نوعاً من التسييج المعرفي حول النص القرآني، مما أدى إلى طمس ذاكرته الحوارية وتعطيل طاقته التحررية. ويبحث هذا المحور في القوى التي أدت إلى طمس الذاكرة الحوارية للنص وذلك على النحو الآتي:

#### 1- إكراهات أنظمة السلطة والمعرفة:

إن قيم الاختلاف والحوار لم تكن معزولة عن إكراهات أنظمة السلطة والمعرفة التي عملت على تحويل آيات الحجاج من أدوات تحرير تفتح آفاق العقل، إلى قوالب تبريرية ارتكاسية تُستخدم لتغذية التعصب وإقصاء الآخر (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ الميالي، 2014). ومن منظور جينياولوجي، فإن هذا التسييج يمثل انتصاراً لإرادة القوة الارتكاسية التي سعت تاريخياً لتدجين النص وإخضاعه لمتطلبات الصراع المذهبي والسياسي، بدلاً من تركه فضاءً مفتوحاً للتعارف والبرهان (نيتشه، 2010؛ أركون، 2001).

ويمكن تتبع آليات هذا التسييج وتعطيل الطاقة التحررية من خلال الآتي:

أ. تحويل البرهان إلى سجل:

تعرضت آيات مثل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111) لعملية إعادة تأطير داخل أنظمة المعرفة التقليدية، حيث جُردت من دلالتها كدعوة للتفكير الحر والبحث عن الحقيقة، لتصبح مجرد سلاح في السجال

العقدي لإفحام الخصم. وجينولوجياً، هذا يمثل انحرافاً في نسب المعنى؛ فبدلاً من أن يكون البرهان قوة فاعلة تطلب التواصل، صار أداة سلطوية تطلب الغلبة والإخضاع، مما أدى إلى تسييح النص داخل أسوار المذاهب المغلقة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ب. إكراهات السلطة السياسية وتأويل آيات الصراع:

عملت أنظمة السلطة تاريخياً على تغليب آيات المواجهة (في سياقاتها الحربية الخاصة) وجعلها هي الأصل المرجعي، مع تعطيل الآيات التأسيسية للاختلاف كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ (الكافرون: 6) أو ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256). وإجرائياً، هذا التعطيل هو نتاج قوى ارتكاسية احتاجت لتبرير التوسع أو الإقصاء السياسي، مما أنتج خطاباً يتسم بالأحادية ويطمس اللامفكر فيه في القرآن بوصفه رسالة تواصلية عالمية (أركون، 2001؛ الميالي، 2014).

ج. تسييح الذات وتشكل الضغينة في التفسير:

يحلل هذا البحث كيف تسللت أخلاق العبيد (بالمفهوم النيتشوي) القائمة على الضغينة والارتكاس إلى بعض المدونات التفسيرية، حيث أصبح تفسير آيات الآخر محكوماً بهاجس النجاة الفردية ونفي الآخر للجحيم. وجينولوجياً، هذا المسلك يمثل تسييحاً للنص بأوهام الأفضلية الذاتية (أنا خير منه)، مما حول الحوار من فضاء للتعارف إلى فضاء للاحتناك النفسي والمعرفي الذي يلغي قيمة الآخر (نيتشه، 2010؛ السنون، 2021).

د. هيمنة التقليد وتعطيل إرادة المعرفة:

أدى الركون إلى أساطير الأولين في التفسير (أي تقديس الأقوال البشرية السابقة) إلى خلق نظام معرفي يرفض المساءلة. وجينولوجياً، يمثل هذا تسييحاً للعقل القرآني ومنعه من التفاعل مع المتغيرات الإنسانية المعاصرة. ويسعى البحث لخلخلة هذه الأنظمة التقليدية لاستعادة الطاقة التحررية التي تجعل من القرآن ذكراً مستمراً وقوة فاعلة قادرة على إنتاج قيم حوارية تتجاوز إكراهات الماضي (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

## 2-تعطيل آيات الحكمة والعدل:

والتي تعني بالتحديد الأخلاقي للقيم القرآنية الحاكمة للاختلاف، حيث يحلل البحث محاولات تغييب الآيات التي تضبط العلاقة مع الآخر أخلاقياً وقيماً، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (المائدة: 8)، وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: 34). حيث لم يكن هذا التحديد عفويًا، بل جاء نتيجة هيمنة قراءات إقصائية عملت على نزع القوة الإجرائية لهذه الآيات وتحويلها إلى مجرد نصوص وعظمية مسلوقة الفعالية في الوعي الجمعي لصالح استدعاء أنساب صراعية تخدم أنظمة القوة والضغينة (الميالي، 2014؛ نيتشه، 2010).

ويمكن تتبع آليات هذا التعطيل وتأثيراته الجينولوجية عبر الآتي:

أ. إزاحة العدل بصفته قيمة كونية:

تعرضت الآية في قول الله تعالى: ﴿اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: 8) لعمليات تقييد دلالي داخل بعض المدونات التفسيرية، حيث تم قصر العدل على الداخل المذهبي أو الجماعة المؤمنة. وجينولوجياً، يمثل هذا انحرافاً عن المقصد القرآني الذي يجعل العدل مع الآخر (المبغوض- الشنآن) شرطاً للتقوى (حسب النبي، 2025). وهذا التسييح للعدل أدى إلى تعطيل الطاقة التحريرية للنص التي تمنع تحول الاختلاف إلى ظلم أو إقصاء مادي ومعنوي (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ب. تحويل الدفع بالأحسن إلى ضعف ارتكاسي:

تم تأويل الآية في قول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: 34) في سياقات تاريخية معينة بوصفها منسوخة بآيات القتال، أو أنها تخص مرحلة الاستضعاف. وإجراءياً، هذا التعطيل هو نتاج إرادة قوة ارتكاسية ترى في الأحسن ضعفاً، بينما هو في حقيقته قوة فاعلة تهدف إلى تحويل العداوة إلى ولاية وحميمية تتجلى في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34). ويمثل استعادة هذه الآية قطعاً مع أنساب الصراع التي طمست الذاكرة الحوارية للوحي (أركون، 2001).

ج. تفكيك ثقافة الإقصاء في الوعي الجمعي:

يرى البحث أن تعطيل آيات الحكمة والعدل أدى إلى تشكل وعي جمعي يرى في الآخر تهديداً يجب إزالته لا آية تجب قراءتها. وجينولوجياً، هذا الوعي هو نتاج عمليات تسييح طويلة مارستها أنظمة المعرفة التقليدية التي غلبت إرادة الإقصاء على إرادة التعارف. وإن إعادة تفعيل هذه الآيات تهدف إلى تحرير العقل المسلم من اللامفكر فيه المتمثل في حتمية الصراع، والانتقال نحو أفق حوار يركز على المسؤولية الأخلاقية تجاه الآخر المغاير (المياي، 2014؛ مولينا، 2019).

د. تجاوز المنهج السجالي نحو أخلاقيات البرهان:

إن غياب العدل في الحوار أدى إلى سيادة المنهج السجالي الذي يهدف إلى تحطيم الآخر لا فهمه. وجينولوجياً، هذا يمثل انتصاراً للقوى الارتكاسية التي تتغذى على نفي المخالف. ويسعى البحث من خلال تفعيل آيات الحكمة والعدل إلى تأسيس أخلاقيات للبرهان تجعل من الحوار فضاءً للبحث المشترك عن الحقيقة، محطماً بذلك أسوار التبعية والتقليد التي تمنع الاعتراف بكرامة الآخر المعرفية والوجودية (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

## المحور الرابع: استعادة اللامفكر فيه وأخلاقيات الحوار المعاصر

يمثل هذا المحور ذروة المسار الجينيولوجي في البحث؛ فبعد تفكيك أنساب الإقصاء وكشف ميكانيزمات التسييح التاريخي، ننتقل إلى استعادة اللامفكر فيه في الخطاب القرآني لبناء أفق حوار معاصر، وذلك على النحو الآتي:

### 1- الانتقال إلى الاعتراف المتمايز:

إن الهدف هنا هو الانتقال من منطق الإلغاء أو الاستيعاب القسري إلى الاعتراف المتمايز، وذلك عبر تفعيل الآيات التي تؤسس لحق الاختلاف بوصفه بنية وجودية تحفظ خصوصية الآخر دون ذوبان الهوية، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ (الكافرون: 6). فإن هذا المسلك يمثل انتصاراً لإرادة التعارف الفاعلة التي تؤسس لتعايش قائم على الندية والاعتراف المتبادل، بعيداً عن إكراهات أنظمة الهيمنة (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ويمكن تتبع آليات بناء هذا الأفق الحوارية عبر الآتي:

أ. تأسيس إرادة الاعتراف بالتمايز العقديّة:

يمثل قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ (الكافرون: 6) إعلاناً جينيولوجياً عن استقلال الهويات في فضاء الحوار. وجينيولوجياً، فإن هذا النص يقطع مع إرادة الاحتناك التي تسعى لمحو الآخر، ويؤسس لنسب جديد للمعنى يرى في التمايز شرطاً لصحة العلاقة لا عائقاً أمامها. وتسمح استعادة هذه القوة الفاعلة بتجاوز تسييح الهوية الذي يفرضه الصراع التاريخي، والانتقال نحو أخلاقيات الاعتراف التي تحفظ لكل طرف فرادته (مولينا، 2019؛ السنون، 2021).

ب. تحرير اللامفكر فيه في الحرية الإنسانية:

يمثل قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29) الطاقة التحررية الكبرى التي تم تسييحها بمدونات إكراهية تاريخية. وإجرائياً، يهدف البحث لاستعادة هذه المساحة المسكوت عنها في الوعي التقليدي، لإثبات أن الخطاب القرآني يؤصل لسيادة الذات ومسؤوليتها الفردية. وهذا التوجه يفكك أنظمة العبودية والتقليد ويؤسس لخطاب معاصر يحترم حرية الضمير كأصل لكل حوار حقيقي (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

ج. من التسييح المذهبي إلى التعارف الأنثروبولوجي:

إن الانتقال إلى الاعتراف المتمايز يتطلب تفكيك أنساب الضغينة التي تراكمت في أنظمة التلقي. وجينيولوجياً، يتم هنا استدعاء آيات البر والقسط مع الآخر. قال تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (المتحنة: 8) لإعادة بناء نظام

الخطاب الديني على أسس أخلاقية كونية. وهذا الانتقال يحرر المعنى من إرادة الإقصاء الارتكاسية ويحوّله إلى قوة فاعلة تطلب التواصل الحضاري في الفضاء الإنساني الواسع (الميلي، 2014؛ نيتشه، 2010).

د. بناء أفق المسؤولية في الاختلاف:

يختم هذا الأفق بربط الاختلاف بالمسؤولية الأخلاقية أمام الله. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: 164). وجينولوجياً، فإن هذا التأجيل الإلهي للحكم هو الضمانة لعدم ممارسة أي سلطة بشرية للإقصاء بدعوى امتلاك الحقيقة المطلقة. ويؤسس تفعيل هذا المعنى لأخلاقيات الحوار المعاصر التي تجعل من التواصل المعرفي وقبول الآخر المغاير قيمة عليا، محطماً بذلك أسوار المركزية الاستعلائية (السنون، 2021؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

## 2- سلطة البرهان والمسؤولية الفردية:

وهنا نؤسس لما يمكن تسميته بأخلاقيات المسؤولية البرهانية، حيث يطرح الخطاب القرآني بديلاً حاسماً عن إرادة القهر يتمثل في سلطة البرهان. وإن التأكيد على ضرورة الاحتكام للعقل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111) يمثل استراتيجية لتفكيك الادعاءات الذاتية وتسيبها داخل أوهام الحقيقة المطلقة. ويتكامل هذا المبدأ مع إرجاع الحكم النهائي لله يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة: 25)، مما يحرر الفضاء الإنساني من إرادة الإقصاء التي تمارسها القوى الارتكاسية بدعوى امتلاك الصواب، ويفتح الأفق أمام حوار قائم على الحرية والاعتراف المتبادل (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ويمكن تتبع آليات تفعيل سلطة البرهان والمسؤولية الفردية عبر الآتي:

أ. تفكيك التسيب بالأمامي عبر سلطة البرهان:

جاء طلب البرهان في القرآن رداً على ادعاءات إقصائية حصرية. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ (البقرة: 111). وجينولوجياً، يمثل هذا تفكيكاً لأنساب الأفضلية الوهمية، وتحويلاً للحوار من منطق الأمامي إلى منطق البرهان. وإن استعادة هذه القوة الفاعلة تعني قطع الطريق على أي نظام معرفي يحاول تسيب الحقيقة داخل هوية ضيقة، وتأسيس خطاب يحترم الذات المفكرة والمسؤولية (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

ب. البرهان كقوة تحررية من العبودية والتقليد:

إن الاستناد إلى البرهان هو فعل تحرري يرفض التبعية لأساطير الأولين. وإجرائياً، يمنح هذا المبدأ الفرد مسؤولية فحص الخطاب قبل قبوله، مما يخلخل أنظمة السلطة التي تتغذى على طاعة الجماهير العمياء. وهذا

التحرير المعرفي هو شرط أساسي لبناء أفق حوارى معاصر، حيث يكون الاحتكام لقوة الحجة لا لحجة القوة (السطاتي وبنعبد العالى، 1986؛ الميالى، 2014).

ج. إرجاع الحكم لله كضمانة للتعددية الدنيوية:

يمثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (السجدة: 25) عملية نزع صلاحيات الإقصاء من البشر. وجينياولوجياً، يمنع هذا التأجيل تحول الاختلاف إلى تسييج عنيف أو تصفية للآخر المغاير، ويجبر القوى الارتكاسية على الاعتراف بحق الآخر في الوجود المختلف. وإن هذا المبدأ يؤصل لتواضع معرفي يرى في الاختلاف مجالاً للتعرف لا ساحة للحسم النهائي الذي هو من اختصاص الخالق وحده (أركون، 2001؛ نيتشه، 2010).

د. المسؤولية الفردية وتقويض الضغينة المذهبية:

ويتجلى ذلك عبر ربط الاختلاف بالمرجع النهائي. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: 164)، حيث يتم تفكيك أخلاق الضغينة التي تسعى للحكم على الآخر وإدانته تاريخياً. وجينياولوجياً، تتحول المسؤولية هنا من مسؤولية الجماعة التي تسيج الفكر إلى مسؤولية الفرد الحر. ويفتح هذا المجال لبناء أخلاقيات حوار تعتمد على البرهان الأخلاقي والعمل في الواقع المعاش، وتترك القضايا الغيبية لمالك يوم الدين، مما يحمي الفضاء العام من صراعات الهيمنة العقدية (السنون، 2021؛ السطاتي وبنعبد العالى، 1986).

### 3- بناء خطاب يقطع مع العبودية والتقليد:

يتمثل الطموح المعرفي لهذا البحث في بناء خطاب يقطع مع العبودية والتقليد، وذلك عبر استخدام المنهج الجينياولوجي كأداة لاستنطاق المسكوت عنه واللامفكر فيه في آيات الحجاج القرآني (أركون، 2001). وإن الهدف من هذا الاستقصاء ليس مجرد استعادة التاريخ، بل صياغة خطاب حوارى معاصر يركز على قيمتي الحرية والمسؤولية، ويكون قادراً على مواجهة إرادة الإقصاء الارتكاسية التي تغلغت في الوعي الجمعي عبر قرون من التسييج المعرفي والسلطوي (السنون، 2021). وبذلك، يتحول الحوار من كونه دفاعاً عن مذهب إلى كونه تفعيلاً لكرامة الإنسان كذات مفكرة ومستقلة (السطاتي وبنعبد العالى، 1986).

ويمكن تتبع آليات بناء هذا الخطاب التحرري عبر الآتي:

أ. تقويض أنساب التبعية واستعادة الذات:

يحلل المنهج الجينياولوجي محاولات تحويل التسليم لله إلى تبعية للمفسر أو الفقيه عبر التاريخ. وجينياولوجياً، يهدف هذا الخطاب الجديد إلى كسر سلطة التقليد التي جعلت من فهم السلف سياجاً يمنع العقل المعاصر من

التواصل المباشر مع طاقة النص الحوارية. وإن القطع مع العبودية الفكرية هو استعادة لنداء القرآن ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصفات: 138)، وتأسيس لنسب جديد للمعنى يربط الإنسان بمسؤوليته الفردية أمام الحقيقة (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

ب. تفكيك إرادة الإقصاء كبنية نفسية ومعرفية:

يكشف البحث أن الإقصاء ليس مجرد رأي، بل هو إرادة قوة ارتكاسية تتخفى خلف النص. وإجراءياً، يعمل الخطاب المعاصر على استنطاق آيات مثل ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256)، و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 22) لإعادة تعريف العلاقة مع الآخر بوصفها علاقة تكامل برهاني لا صراع وجودي. وهذا التفكيك يحرر الوعي من الضغينة التاريخية ويؤسس لأخلاقيات حوارية تنبذ الوصاية الفكرية (نيتشه، 2010؛ الميالي، 2014).

ج. تحرير المسكوت عنه في آيات الحجاج:

يرى أركون (2001) أن هناك طاقات تواصلية في آيات مثل: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة: 111) تم إسكاتها لصالح اليقين المذهبي. وجينالوجياً، يسعى هذا الخطاب لاستعادة هذه الطاقات، معتبراً أن البرهان هو فعل حرية يرفض تسييج المعنى داخل قوالب جاهزة. وإن الحوار المعاصر في هذا الأفق يصبح ممارسة للحرية، حيث يتم الاعتراف بحق الآخر في المساءلة والشك والبحث، بوصفها دروباً نحو التعارف الكوني (السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

د. المسؤولية كبديل عن التفويض السلطوي:

يختم هذا الخطاب بالتأكيد على أن الحرية في القرآن تقتنر دائماً بالمسؤولية. وجينالوجياً، يقطع هذا مع أنظمة السلطة التي تسلب الفرد إرادته وتمنحه إجابات جاهزة. وإن الخطاب الحوارى المنشود هو الذي يعيد للفرد دوره كخليفة مسؤول عن خياراته الفكرية كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: 95)، مما يحطم أسوار العبودية والتقليد ويؤسس لمستقبل إنساني قائم على النضج المعرفي والاعتراف المتبادل بالكرامة (السنون، 2021؛ مولينا، 2019).

### المحور الخامس: إدارة الاختلاف داخل الجماعة وفي الفضاء الإنساني

ينتقل البحث في هذا المحور من تأصيل الاختلاف إلى إدارة مفاعيله، حيث يضع الخطاب القرآني إطاراً ناظماً لضبط النزاع الداخلي ومنعه من التحول إلى فرقة ممزقة للنسيج الاجتماعي. ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

## 1-ضبط النزاع الداخلي:

إن الحث على الاعتصام والنهي عن التفرق المذموم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: 105)، ويمثل استراتيجية لحماية الفضاء العام من القوى الارتكاسية التي تسعى لتحويل الاختلاف المعرفي إلى صراع سلطوي. ومن منظور جينولوجي، فإن هذا النهي يستهدف تفكيك بذور الشقاق التي تنبت عند غياب البرهان وطغيان الأهواء والتبعية الجامدة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ الميالي، 2014).

ويمكن تتبع آليات إدارة الاختلاف وضبط النزاع عبر الآتي:

أ. التمييز الجينولوجي بين الاختلاف المحمود والتفرق المذموم:

يفرق القرآن بين اختلاف التنوع الذي هو آية، وبين التفرق الذي يحدث من بعد ما جاءهم البيّنات. وجينولوجياً، يكشف هذا التمييز أن التفرق المذموم ليس نتاج نقص في المعلومات، بل هو نتاج إرادة هيمنة ومصالح ذاتية تؤدي إلى تسييح النص لخدمة الفئة أو المذهب. وإن استعادة البيّنات كمرجعية تواصلية تهدف إلى تحطيم أسوار الانغلاق الطائفي وإعادة الاعتبار لوحدة المقصد الإنساني (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

ب. الاعتصام كقوة فاعلة لمواجهة الضغينة المذهبية:

إن الدعوة للاعتصام بحبل الله في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: 103) هي استراتيجية لتقويض القوى الارتكاسية التي تتغذى على التشرذم. وإجرائياً، يعمل الاعتصام كسياج أخلاقي يحمي الجماعة من الانزلاق نحو أخلاق الضغينة التي ترى في الأخ المغاير عدواً. وهذا التأصيل يؤسس لإدارة حكيمة للاختلاف تجعل من التعددية مصدر ثراء وقوة تواصلية لا عامل هدم وصراع (نيتشه، 2010؛ الميالي، 2014).

ج. تفكيك أنساب النزاع وتفعيل أدوات الإصلاح:

يضع القرآن ميكانيزمات عملية لإدارة النزاع في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: 10). وجينولوجياً، يمثل الإصلاح هنا تدخلاً لكسر دائرة الفعل ورد الفعل الارتكاسية. وإن الخطاب الحوارية المعاصر يستلهم من هذه الآيات ضرورة بناء منصات وسيطة للحوار تقطع مع إرادة الإقصاء وتفضح ممارسات التسييح التي يمارسها دعاة الفرقة، بهدف استعادة الذاكرة الجماعية القائمة على الأخوة والمسؤولية (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

د. المسؤولية عن مجيء البيّنات وتقويض التقليد:

إن ربط التفرق بمجيء البيئات يحمل الذوات المسؤولة تبعة إهمال العقل والركون إلى التقليد. وجينولوجياً، يكشف هذا النص أن التسييج المعرفي غالباً ما يحدث عندما يتم تجاهل البرهان الواضح لصالح أساطير الأولين والتفسيرات الارتكاسية. وإن إدارة الاختلاف داخل الجماعة تتطلب، وفق هذا المنظور، شجاعة في استنطاق المسكوت عنه وتجاوز العبودية والتقليد لصالح خطاب يجمع بين حرية الرأي ووحدة الهدف الإنساني (أركون، 2001؛ مولينا، 2019).

## 2- البر والقسط مع الآخر الإنساني:

ونعني به أخلاقيات العيش المشترك في الفضاء الإنساني الواسع، حيث يتجاوز الخطاب القرآني مجرد القبول السلبي بالآخر إلى التأسيس لعلاقة سلمية فاعلة مع الآخر غير المعادي، وترتكز على ثنائية البر والقسط. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8). وإن هذا التأسيس يمثل تفكيراً جينولوجياً لإرادة الصراع الارتكاسية التي تحاول تسييج العلاقة مع الآخر في إطار العداء الدائم، مستبدلاً إياها بإرادة بر فاعلة تقطع مع أنساب الكراهية وتؤسس لخطاب إنساني كوني يرتكز على العدل والمرحمة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ويمكن تتبع آليات هذا التأصيل الأخلاقي عبر الآتي:

أ. تفكيك ثنائية العداء المطلقة:

عملت بعض القوى الارتكاسية تاريخياً على تسييج العلاقة مع الآخر داخل ثنائية (مؤمن- كافر) بوصفها حالة حرب دائمة. وجينولوجياً، تأتي آية الممتحنة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8) لتعيد رسم أنساب العلاقة بناءً على السلوك (عدم المقاتلة) لا على المعتقد فحسب. ويمثل هذا التحول استعادة للامفكر فيه في الخطاب الديني المعاصر، وهو أن الأصل في العلاقة الإنسانية هو السلم والقسط، مما يفتح الباب أمام تعارف حضاري حقيقي (أركون، 2001؛ الميالي، 2014).

ب. البر والقسط كقوى فاعلة في الحوار:

لا يكتفي النص بالنهي عن الظلم، بل يأمر بالبر (وهو أعلى درجات الإحسان) والقسط (وهو العدل المادي والمعنوي). وإجرائياً، تحول هذه القيم الآخر من موضوع للصراع إلى شريك في القيمة الإنسانية. ويكسر هذا المسلك تسييج الضغينة ويؤصل لمسؤولية أخلاقية تتجاوز الحدود المذهبية، مما يمنح الخطاب الحوارية طاقة تحريرية تقاوم إكراهات أنظمة الهيمنة والإقصاء (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ نيتشه، 2010).

ج. تقويض الاستعلاء العرقي بالعدل الكوني:

يربط قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8) المحبة الإلهية بصفة العدل مع الآخر. وجينيالوجياً، يمثل ذلك قطيعة مع أنساب الاستعلاء الإبليسية (أنا خير منه)؛ فالخيرية هنا مرتبطة بالعدل مع المغاير. وإن بناء خطاب يقطع مع العبودية والتقليد يتطلب استحضار هذا العدل الكوني الذي يرى في الآخر إنساناً يستحق البر، مما يحطم أسوار المركزية المنغلقة (السنون، 2021؛ مولينا، 2019).

د. استعادة الذاكرة الحوارية السلمية:

يرى البحث أن تفعيل آيات البر والقسط هو السبيل لصياغة خطاب حوارى معاصر يواجه خطابات الكراهية. وجينيالوجياً، يتم استنطاق المسكوت عنه في هذه الآيات لإثبات أن القرآن لم يسيج العلاقة مع الآخر في خانة النبذ، بل تركها فضاءً مفتوحاً للمناقشة والتعايش. وإن هذا المنظور يعيد بناء نظام الخطاب ليكون جسراً للتعارف لا جداراً للفصل، مرتكزاً على حرية الإنسان ومسؤوليته في إقامة القسط (أركون، 2001؛ السطاتي وبنعبد العالي، 1986).

### 3-منهج الدعوة والمجادلة:

يُمثل منهج الدعوة والمجادلة في القرآن الإطار العملي لتحويل الحوار من صدام إرادات إلى تواصل برهاني، حيث يفرض الخطاب الالتزام بثلاثية (الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن) كأدوات تواصلية أصيلة تتجلى في قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125). ويمثل هذا التوجيه تفكيكاً جينيالوجياً لإرادة القهر اللغوية والمعرفية، واستبدالها بإرادة بيان فاعلة تحترم عقل الآخر ووجدانه، مما يقطع مع أنساب العنف الرمزي وتسييج المعنى داخل أطر الإكراه (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ السنون، 2021).

ويمكن تتبع أبعاد هذا المنهج التواصلي عبر الآتي:

أ. الحكمة كأداة لتفكيك التسييج الأيديولوجي:

إن تقديم الحكمة كأول أداة في الحوار يعني جينيالوجياً وضع البرهان العقلي في مرتبة الصدارة. وجينيالوجياً، الحكمة هي القوة الفاعلة التي تخاطب اللامفكر فيه عند الآخر، وتسعى لخلخلة قناعاته الموروثة (أساطير الأولين) دون ممارسة إكراه. إنها استراتيجية تهدف لتحرير العقل من العبودية والتقليد وربطه بمنطق الحجة والبرهان الكوني (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

ب. الموعظة الحسنة وتقويض الضغينة الارتكاسية:

يحلل البحث الحُسن في الموعظة بوصفه تفكيراً للقوى الارتكاسية التي تتغذى على تحقير الآخر. وإجرائياً، الموعظة الحسنة هي آلية لفتح قنوات التواصل الوجداني، مما يمنع تحول الحوار إلى تسييج عاطفي منغلق. وهذا المسلك يقطع مع أنساب الصراع التي ترى في المخالف عدواً يجب تحطيمه، ويؤصل لخطاب حوارِي يحترم كرامة الذات الإنسانية (نيتشه، 2010؛ الميالي، 2014).

ج. التي هي أحسن كذروة المسؤولية الأخلاقية:

إن الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن يمثل جينياًولوجياً تجاوزاً للذات؛ فالمحاور مُطالب ليس فقط بالحسن بل بالأحسن. وجينياًولوجياً، يمثل هذا قمة إرادة التعارف التي تسعى لبناء جسور مع الآخر عبر أجمل السبل الممكنة. وإن هذا التوجيه يفكك أنظمة الهيمنة اللسانية التي تمارس الاستعلاء، ويؤسس لأخلاقيات حوارية تجعل من التواضع المعرفي والجمال اللغوي وسيلة للوصول إلى الحقيقة (السطاتي وبنعبد العالي، 1986؛ مولينا، 2019).

د. تفكيرك إرادة الوصاية في الخطاب الدعوي:

يرى البحث أن حصر المنهج في (الحكمة والموعظة) هو قطع مع منطق الإلزام القسري. وجينياًولوجياً، يتم هنا استنطاق المسكوت عنه في آيات الحجاج لإثبات أن وظيفة المحاور هي البيان لا السيطرة في قول الله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية: 22). وإن بناء خطاب يقطع مع التقليد يتطلب استعادة هذا الأفق التحرري الذي يترك للآخر حرية المسؤولية والقرار، مما يحطم أسوار التسييج المعرفي ويفتح فضاءً إنسانياً يتسع للتعدد والتعارف (أركون، 2001؛ السنون، 2021).

### الدراسات السابقة:

يستعرض الباحث الدراسات والبحوث التي أجريت في مجال بحثه، وقد تم تصنيفها وفق ثلاثة محاور أساسية هي: المحور المنهجي والجينياًولوجي، ومحور نقد الخطاب الديني، ومحور الحوار ومنهج القرآن في الاختلاف. كما سيتم عرض الدراسات والبحوث من الأقدم إلى الأحدث وذلك على النحو الآتي:

### أولاً: المحور المنهجي والجينياًولوجي:

#### دراسة مولينا (2019):

سعت الدراسة إلى ضبط التمايزات المنهجية للمفهوم الجينياًولوجي وتطوره عبر مسارات نيتشه ودولوز وفوكو، مستخدمة المنهج المقارن والتحليل الهرمنيوطيقي كأدوات للفحص. وتوصلت النتائج إلى أن الجينياًولوجيا تمثل ذاكرة

مضادة تهدف إلى القطع مع التاريخ التقليدي والديالكتيك، كما أنها تعمل كأداة إجرائية لتحرير الحقيقة من إكراهات أنظمة السلطة والمعرفة.

### دراسة السنون (2021):

بحث الدراسة في إمكانية مجاوزة ميتافيزيقا القيم التقليدية عبر الكشف عن قيمة الأصل وأصل القيم في الفكر المعاصر، وذلك من خلال المنهج النقدي التحليلي. وقد أسفرت النتائج عن إثبات نسبة القيم وارتباطها المباشر بالفئة التي تمتلك سلطة القرار، مؤكدة أن البحث الجينيولوجي هو الأداة الأقدر على تعرية القيم التي تدعي الإطلاقية والكونية وربطها بسياقاتها البشرية.

### دراسة مارييف (2021) :

تناولت هذه الدراسة التجربة الجينيولوجية بوصفها استقصاء لسؤال الحقيقة، حيث استخدمت المنهج التحليلي لتوصيف الجينيولوجي كطبيب ومشروع وفنان يمارس النقد لتفكيك الميتافيزيقا. وخلصت الدراسة إلى أن الجينيولوجيا ليست فعلاً هداماً فحسب، بل هي ممارسة إبداعية تستخدم التفلسف بالمطرقة لخلخلة نماذج القول القديمة وكشف زيف التزييفات التي ألصقت بمفهوم الحقيقة.

### تعليق على دراسات المحور الأول:

تُشكل دراسات المحور الأول وحدة معرفية متماسكة أسست للأرضية الفلسفية والمنهجية التي يرتكز عليها البحث الحالي، حيث يلاحظ من خلال استعراض دراسة مولينا (2019) بأن تطور الأداة الجينيولوجية لتصبح ذاكرة مضادة قادرة على مواجهة التاريخ الرسمي والأنظمة السلطوية التي تحتكر الحقيقة.

وفي ذات السياق المنهجي، تبرز دراسة السنون (2021) لتعمق المسار النقدي عبر إثبات نسبة القيم وربطها بسلطة القرار، مما يمنح البحث الحالي شرعية الاستقصاء في أنساب القيم الحوارية بعيداً عن الرؤى التقليدية الجامدة. وتكتمل هذه الحلقة المنهجية مع دراسة مارييف (2021) التي أضفت طابعاً إبداعياً على الهدم الجينيولوجي، من خلال توصيف الباحث كطبيب يشخص زيف التفسيرات الميتافيزيقية؛ وهو ما يستلهمه البحث الحالي في ممارسة التفلسف بالمطرقة لخلخلة الأنماط الإقصائية وإعادة الاعتبار لقيم الاختلاف والتعارف في الخطاب القرآني.

إجمالاً، يظهر من دراسات هذا المحور وجود اتفاق على أن الجينيولوجيا ليست مجرد بحث في الماضي، بل هي أداة تشریح للحاضر عبر كشف صراعات القوة الكامنة خلف الخطابات، مما يمهّد لنا الانتقال من توصيف قيم الحوار إلى تفكيك الآليات التي جعلت بعض هذه القيم فاعلة وبعضها الآخر ارتكاسياً أو مغيباً في الممارسات التاريخية.

## ثانياً: محور نقد الخطاب الديني

### دراسة السطاتي وبنعبد العالي (1986) :

استهدفت الدراسة تقديم قراءة تحليلية لمشروع ميشيل فوكو حول كيفية تشكل الخطاب وعلاقته بإرادة المعرفة، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك آليات الإقصاء. وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاب محكوم بأنظمة خفية تفرضها السلطة، وأن إرادة الحقيقة تمارس دوراً إكراهياً يحدد مسارات القول ويستبعد خطابات أخرى، مما يجعل الخطاب مجالاً للصراع وليس مجرد وسيلة تعبير.

### دراسة أركون (2001) :

سعت الدراسة إلى زحزحة الفكر الإسلامي من دائرة التفسير الموروث نحو آفاق تحليل الخطاب الديني، مستخدمة المنهج الأركيولوجي (الاستقصائي) وأدوات اللسانيات الحديثة. وخلصت النتائج إلى ضرورة الكشف عن اللامفكر فيه في التراث، مؤكدة أن النص القرآني يمتلك طاقة انفتاحية هائلة حاصرتها المدونات التفسيرية التاريخية وحولتها إلى أنظمة مغلقة.

### دراسة زامل (2022) :

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء تجليات التفكير الجينيولوجي داخل الخطاب الديني عبر اتخاذ قصة مريم نموذجاً تطبيقياً، مستخدمة المنهج الجينيولوجي الاستقصائي كأداة للتحليل. وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاب القرآني يستبطن أبعاداً جينيولوجية تشير إلى الانتساب الأخلاقي والقيمي، حيث وظف النص الإشارة والكلام الإعجازي لخلخلة المفاهيم السائدة وإعادة تعريف الهوية والقيمة في سياق حوار.

### تعليق على دراسات المحور الثاني:

تُمثل دراسات المحور الثاني نقلة نوعية من التأصيل المنهجي إلى التفكيك الإجرائي للخطاب الديني، حيث تُقدّم دراسة السطاتي وبنعبد العالي (1986) الإطار النظري الأعمق لفهم الخطاب ليس بوصفه لغة محايدة، بل بوصفه ساحة للصراع ومحكوماً بإرادة معرفة تفرضها موازين القوى، مما يفتح الباب أمام بحثنا لاستكشاف الأنظمة الإقصائية التي قد تكون حجبت المعاني الحوارية الأصيلة. وفي هذا السياق، تأتي دراسة أركون (2001) لترسم خارطة طريق للتحرر من هيمنة التفسير الموروث عبر المنهج الأركيولوجي، داعيةً إلى الكشف عن اللامفكر فيه في النص القرآني، وهو ما يتقاطع مع مسعى البحث الحالي في إعادة قراءة آيات الاختلاف بعيداً عن التسييجات التاريخية المغلقة التي حولت النص من فضاء مفتوح إلى أنظمة معيارية مقيدة.

وتكتسب هذه المقاربات النقدية طابعاً تطبيقياً ملموساً في دراسة زامل (2022)، التي تُعد المرجع الأكثر اتصالاً بالبحث الحالي، حيث استطاع توظيف الاستقصاء الجينولوجي داخل النص القرآني لاستنباط الأنساب الأخلاقية، مبرهنًا على أن الخطاب الإعجازي في جوهره هو فعل لخلخلة السائد وإعادة تعريف القيم. ومن خلال هذه الدراسات، يتضح أن نقد الخطاب الديني لم يعد مجرد ترف فكري، بل هو ضرورة منهجية لزحزحة المفاهيم التقليدية حول الآخر، مما يمهد لبحثنا الحالي في استعادة إرادة التعارف من خلال تشريح القوى الفاعلة والمرتكسة التي شكلت وعينا المعاصر بالنص القرآني وقيمه الحوارية.

### ثالثاً: محور الحوار ومنهج القرآن في الاختلاف

#### دراسة وزين (2007) :

استهدفت الدراسة استنباط الأصول الفلسفية والشرعية الحاكمة للحوار مع الآخر في القرآن الكريم، واعتمدت في ذلك على المنهج الاستقرائي التحليلي لتتبع المفردات الحوارية. وخلصت النتائج إلى أن قاعدة الكلمة السواء تمثل أصلاً ثابتاً للانطلاق في الحوار، وأن الاختلاف في المنظور القرآني هو منطلق للتكامل الإنساني القائم على قيم العدل والإنصاف بعيداً عن التعنت.

#### دراسة عاشور(2008) :

ركزت الدراسة على تحديد المنظومة القيمية والضوابط الأخلاقية التي تحكم تواصل المسلم مع المخالف، مستخدمة المنهج الوصفي الاستنباطي للأدلة النقلية. وتوصلت النتائج إلى صياغة مجموعة من الضوابط المنهجية مثل حسن القصد والرفق في القول، مؤكدة أن الحوار في القرآن يهدف إلى إحقاق الحق بأسلوب قيمي يحترم كرامة الطرف الآخر.

#### دراسة الطيب (2013) :

سعت الدراسة إلى إبراز الطبيعة الحوارية للحضارة الإسلامية المرتكزة على المنهج القرآني، مستخدمة المنهج التاريخي التحليلي لاستعراض نماذج من التراث. وخلصت الدراسة إلى أن القرآن أسس لأدب الاختلاف كبديل للصراع، مشيرة إلى أن التراث الإسلامي أثبت قدرة العقل المسلم على هضم ثقافات الآخرين دون صهر هوياتهم، انطلاقاً من مبدأ التعارف القرآني.

#### دراسة الميالي (2014) :

هدفت الدراسة إلى بحث قيم التسامح في الخطاب القرآني في مواجهة خطاب الأزمة والتعصب، معتمدة على المنهج النقدي التحليلي لمقاربة مفاهيم التعددية. وتوصلت النتائج إلى أن الحوار القرآني يمثل رحلة بحث عن الحقيقة

وليس وسيلة للهيمنة، وأن جذور الإقصاء والتشدد ناتجة عن قراءات ارتكاسية للنص تتناقض مع مقاصده الكلية في الانفتاح والتسامح.

### دراسة عايض (2014):

استهدفت الدراسة استخراج القيم الحوارية الكامنة في النص القرآني وتحديد تطبيقاتها التربوية، وذلك عبر المنهج الاستنباطي. وخلصت الدراسة إلى تعريف قيم الحوار بوصفها نداءات تواصلية تهدف لإعادة بناء الشخصية الإنسانية، وحددت مجموعة من القيم المركزية كالصدق والعدل وحسن الاستماع كأدوات إجرائية لتحقيق السلام المجتمعي.

### دراسة العوكاز (2021):

تناولت الدراسة تحليل الأبعاد الحجاجية في الحوار القرآني الهادف لتغيير الواقع، مستخدمة المنهج اللساني الحجاجي كأداة تحليلية. وأسفرت النتائج عن أن الخطاب القرآني يبني نسقاً إقناعياً متكاملًا يقطع مع العبودية والجهل، ويهدف إلى نقل المحاور من وضع ذهني قائم على التقليد إلى وضع جديد قائم على الحرية والبرهان العقلي.

### تعليق على دراسات المحور الثالث:

تُشكل دراسات المحور الثالث المتن التطبيقي الذي يسعى البحث الحالي لتشريحه بأدوات جينيولوجية، حيث نجد في دراسة وزين (2007) تأصيلاً لقاعدة الكلمة السواء كمنطلق فاعل للاختلاف البناء، وهو ما عززته دراسة عاشور (2008) بوضع ضوابط أخلاقية تحمي كرامة المحاور وتمنع انزلاق الحوار إلى الصراع. وتأتي دراسة الطيب (2013) لتقدم البُعد التاريخي والحضاري لهذا المنهج، مؤكدة أن أدب الاختلاف القرآني هو الذي سمح للعقل المسلم بتمثل الثقافات الأخرى دون محوها، وهو ما يخدم فرضية بحثنا حول القوى الفاعلة في الخطاب القرآني التي تدفع نحو إرادة التعارف.

من جانب آخر، تبرز القيمة النقدية في دراسة الميالي (2014) التي فككت جذور الإقصاء والتعصب بوصفها قراءات ارتكاسية تتناقض مع جوهر النص، وهو ما يتقاطع مع مسعى البحث الحالي في استخدام الجينيولوجيا للكشف عن القوى التي تحاول تحويل النص من أفق تسامحي إلى أداة للهيمنة. وتكتمل هذه الرؤية مع دراسة عايض (2014) التي حوّلت قيم الحوار إلى نداءات تواصلية لبناء الشخصية، وصولاً إلى دراسة العوكاز (2021) التي حللت النسق الإقناعي والحجاجي للقرآن، مبرهنة على أن الحوار القرآني يهدف أساساً إلى تحرير المحاور من التقليد والتبعية نحو أفق الحرية والبرهان.

إجمالاً، تتفق دراسات هذا المحور على ثراء النص القرآني بقيم الحوار والاختلاف، إلا أنها بقيت في أغلبها ضمن إطار الاستنباط والتوصيف، مما يفتح ثغرة علمية يسعى البحث الحالي لسدها عبر تجاوز الوصف إلى الاستقصاء الجينيولوجي؛ لفهم كيف تشكلت هذه القيم، وكيف يمكن استعادتها اليوم كقوى فاعلة في مواجهة خطابات الانغلاق والإقصاء.

## أولاً: أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة

استفاد البحث الحالي من التراكم المعرفي للدراسات السابقة في عدة جوانب منها:

1. **الجانب المنهجي:** استلهم أدوات الاستقصاء الجينولوجي من مدرسة نيتشه وفوكو، وفهم كيفية تتبع أنساب القيم وتحولاتها من قوى فاعلة إلى قوى ارتكاسية.
2. **الجانب النظري:** توظيف المفاهيم النقدية (مثل: اللامفكر فيه، وإرادة المعرفة، ونظام الخطاب) التي طرحها أركون وبنعبد العالي في تشريح الخطاب التفسيري الموروث.
3. **حصر الآيات:** حيث تحديد الآيات والمنظومات القيمة المتعلقة بالحوار والاختلاف (مثل الكلمة السواء، والتسامح، والحجاج) التي استعرضتها الدراسات التطبيقية، لتكون هي المادة الخام لعملية الاستقصاء الجينولوجي.
4. **الجانب التطبيقية:** الاسترشاد بدراسة زامل (2022) في كيفية جسر الهوة بين المنهج الفلسفي الغربي (الجينولوجيا) والنص القرآني، مما أعطى مؤشراً على إمكانية نجاح هذا التزاوج المعرفي.

## ثانياً: الفجوة البحثية

رغم ثراء الدراسات السابقة، إلا أن هناك فجوة بحثية تتمثل في الآتي:

- **الانفصام بين المنهج والموضوع:** فمعظم الدراسات التي تناولت الجينولوجيا ظلت حبيسة التنظير الفلسفي الغربي، بينما الدراسات التي تناولت الحوار في القرآن ظلت حبيسة المنهج الاستنباطي أو التوصيفي التقليدي.
- **غياب التحليل الصراعي للقيم:** أغلب الدراسات القرآنية تكتفي بعرض القيم ككتل ناجزة ومثالية، دون تحليل القوى التي شكلت فهمنا لهذه القيم، أو البحث في تاريخية تأويلها وكيف تحولت بعض قيم الاختلاف من أدوات تحرير إلى قوالب تبرير.
- **القصور في أنساب المعنى:** لم تذهب الدراسات السابقة إلى البحث في جينولوجيا الاختلاف بوصفه صراعاً بين إرادة التعارف والتي تمثل (القوى الفاعلة) وإرادة الهيمنة أو الإقصاء والتي تمثل (القوى الارتكاسية) داخل الخطاب التفسيري.

### ثالثاً: الإضافة العلمية للبحث الحالي:

يتميز البحث الحالي عن سابقه بأنه دراسة بينية تدمج بين المنهج الفلسفي والنص القرآني، وتتمثل إضافته في

الآتي:

1. تجاوز الوصف إلى التفكيك: فالبحث الحالي لا يكتفي برصد قيم الحوار، بل يستقصي جينياتها ليعرف كيف صمدت هذه القيم أو عُيبت أمام القوى الارتكاسية في العقل التفسيري.
2. إعادة قراءة الاختلاف كفعل تحرري: حيث يقدم البحث رؤية جديدة للاختلاف في القرآن، ليس كأمر واقع فحسب، بل كاستراتيجية جينولوجية لخلخلة المركزية الإقصائية، وهو ما لم تطرحه الدراسات السابقة.
3. تفعيل الذاكرة المضادة للنص: حيث يعمل البحث على استعادة المعاني الفاعلة لآيات الحوار التي طمسها إرادة السلطة في بعض فترات التاريخ التفسيري، مما يجعله بحثاً يستهدف الإصلاح المعرفي.
4. تطوير الأداة الجينولوجية: يقدم البحث الحالي تبيئة للمنهج الجينولوجي؛ أي تطويع المنهج ليتناسب مع خصوصية النص القرآني، مما يغني المكتبة العربية بنموذج تطبيقي جديد في نقد الخطاب الديني.

### نتائج البحث:

للإجابة عن أسئلة البحث قام الباحث بالآتي:

بالنسبة للسؤال الأول ونصه: كيف تشكلت جينيات الاختلاف في الخطاب القرآني من مرحلة الصراع الأولي القائم على الاستكبار، إلى مرحلة التأسيس الأنثروبولوجي التي تجعل من التعارف مقصداً إلهياً؟

تقتضي الإجابة عن هذا السؤال تتبع المسار الجينولوجي الذي سلكه الخطاب القرآني في بناء مفهوم الآخر؛ وهو مسار لم يبدأ من فراغ، بل انطلق من عملية تشرحية دقيقة لأنساب الاستعلاء الأولى التي وسمت منطق الرفض والممانعة للتعدد. وإن البحث في هذه الصيرورة يكشف عن انتقال استراتيجي وجوهري في بنية النص؛ حيث بدأ بتفكيك إرادة القهر المتمثلة في الاستكبار الإبليسي بوصفها قوى ارتكاسية تعادي التمايز، وصولاً إلى صياغة إرادة تعارف فاعلة تؤصل للاختلاف بوصفه آية وجودية وتصميماً إلهياً مقصوداً. ومن خلال هذا التحول، استطاع النص القرآني أن ينقل الاختلاف من كونه مبرراً للتسييح والإقصاء، إلى كونه شرطاً أنثروبولوجياً لتحقيق الكمال الإنساني، وهو ما سنفصله عبر مستويات الاستقصاء التالية:

## 1- تفكيك الأصل الصراحي وتقويض أنساب الاستعلاء:

تُظهر نتائج البحث أن جينياتولوجيا الاختلاف تبدأ باستقصاء معرفي في لحظة الاحتجاج الإبليسي كأول بذرة لرفض الآخر. ففي مواجهة الأمر الإلهي بالسجود، استند إبليس إلى منطق الاستعلاء المادي القائم على تفوق العنصر والمادة. قال تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: 12). وإن هذا الموقف يمثل -جينياتولوجياً- أصل كل تسييح للهوية المنغلقة وكل إرادة إقصاء تاريخية؛ حيث يُحول الاختلاف من آية إلى عائق. ويعري القرآن هنا أنساب الاستعلاء التي تتغذى عليها القوى الارتكاسية، موضحاً أن رفض الآخر يبدأ دائماً بوهم الأفضلية الجينية أو المادية، وهو ما سعى الخطاب القرآني لتفكيكه بوصفه ارتكاساً وجودياً ضد إرادة الخلق.

## 2- التأسيس لوحدة الأصل وتعدد المسارات الكونية:

بعد تقويض منطق الاستعلاء، انتقل الخطاب القرآني إلى مرحلة التأسيس الأنثروبولوجي الذي يُعيد الاعتبار لكرامة الإنسان بوصفه ذاتاً موحدة الأصل ومتعددة المسارات. ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: 13)؛ فهنا يتم تقويض أنساب الاستعلاء عبر رد التنوع إلى إرادة إلهية واحدة لا إلى فضل مادي لعرق دون آخر. إن هذه المرحلة، كما يذهب أركون (2001)، تؤسس لما يُسمى بأنسنة التنوع، حيث يُصبح التمايز تصميماً مقصوداً وليس خللاً في نظام الخلق، مما يفتح الباب أمام الاعتراف بالآخر كجزء أصيل من الهوية الإنسانية الشاملة، بعيداً عن محاولات التنميط التي تمارسها أنظمة السلطة.

## 3- التعارف كبنية وجودية واعتراف متبادل:

تُوجت هذه الصيرورة الجينياتولوجية بالانتقال إلى مفهوم التعارف بوصفه المقصد الأسمى للتنوع الإنساني في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13). وتكشف النتائج أن التعارف هنا يمثل النقيض الجينياتولوجي التام للاحتناك الإبليسي؛ فبينما يهدف الاحتناك إلى الاستحواذ والمحو، يهدف التعارف إلى الاعتراف المتبادل وإرادة التواصل الفاعلة. ويُعد هذا التحول إجرائياً، وفقاً لدراسة السطاتي وبنعبد العالي (1986) نقلاً بالاختلاف من كونه مصدراً للنزاع إلى كونه شرطاً لإمكانية المعرفة؛ فبدون الآخر المتمايز يظل الإنسان حبيس أنه الضيقة، ولا تتحقق إنسانيته إلا بالانفتاح على هذا التعدد كما عرضتها الآيات.

## 4- إضفاء القداسة على التعددية (الآخر كآية كونية):

في المرحلة الختامية لهذا التشكل الجينياتولوجي، نجد أن القرآن يضفي صفة القداسة على الاختلاف عبر تسميته آية، مساوياً إياه بخلق السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (الروم: 22). إن هذه النتيجة تؤكد أن الاختلاف اللساني والعِرقي هو طاقة تحريرية تقاوم محاولات التسييح الفكري والمذهبي التي حاولت القوى الارتكاسية فرضها عبر التاريخ (المالي، 2014). وبذلك، استكمل القرآن بناء أفق حوار عالمي

يضع التقوى (المسؤولية الأخلاقية تجاه الآخر) كمعيار وحيد للتفاضل. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، محطماً بذلك كل أنساب القوة المادية، ومؤسساً لخطاب يرتكز على القيمة الإنسانية والعمل المشترك.

بالنسبة للسؤال الثاني ونصه: ما طبيعة القوى الفاعلة والقوى الارتكاسية التي أسهمت في توجيه دلالات آيات الحوار والاختلاف في الخطاب القرآني، وفي أنظمة تلقيه التفسيرية عبر المسار التاريخي؟

كشفت نتائج البحث عن تشريح الصراع المعرفي والوجودي الذي دار حول دلالات النص القرآني، من خلال رصد الجدلية بين القوى الفاعلة التي تنزع نحو التحرر والتواصل، والقوى الارتكاسية التي تنزع نحو التقييد والإقصاء. وإن تحليل أنظمة التلقي التفسيرية عبر التاريخ يكشف كيف تحولت آيات الحوار من فضاءات مفتوحة لإنتاج المعنى إلى مساحات محاصرة بإكراهات السلطة والمعرفة، وهو ما يقتضي استقصاء جينولوجيًا في طبيعة هذه القوى وكيفية توجيهها لفهم الاختلاف. ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

#### 1- تجليات القوى الفاعلة (إرادة التواصل والبرهان):

تتمثل القوى الفاعلة في الخطاب القرآني في تلك الطاقة التحررية التي تطلب البرهان وتؤسس للاعتراف بالآخر. وتتجلى هذه القوى إجرائياً في آيات الحوار التي تقطع مع أنساب التقليد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111). وإن هذه القوة كما يرى السطاطي وبنعبد العالي (1986) هي إرادة معرفة فاعلة لا ترتهن للمسلمات الجاهزة، بل تدفع العقل نحو المساءلة المستمرة. كما تظهر هذه القوى في نموذج إبراهيم -عليه السلام- الذي جادل قومه والملك الطاغية بسلطة العقل، محطماً بذلك تسييج الهويات المنغلقة التي تفرضها المركزية الذاتية، ليحل محلها أخلاقيات البرهان التي تمنح الحوار صبغته الإنسانية والكونية (السنون، 2021).

#### 2- ميكانيزمات القوى الارتكاسية (إرادة الإقصاء والضعينة):

في المقابل، رصد البحث بوضوح دور القوى الارتكاسية التي هيمنت على أنظمة التلقي التفسيري تاريخياً. وهذه القوى تنبع من إرادة قهر تسعى لتدجين النص وإخضاعه لمتطلبات الصراع المذهبي والسياسي. وبمنظور (نيتشه، 2010)، فإن هذه القوى تتغذى على أخلاق الضعينة التي ترى في الآخر تهديداً تجب إزالته، مما أدى إلى عمليات تسييج معرفي محكمة حول آيات الاختلاف. فعلى سبيل المثال، تم تحييد الطاقة التواصلية في آيات مثل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256) أو ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: 34)، عبر قراءات إقصائية مسلوبة القوة في الوعي الجمعي، لصالح استدعاء تأويلات صراعية تخدم أنساب القوة المهيمنة (الميلي، 2014).

### 3- إكراهات أنظمة السلطة والمعرفة وتوجيه الدلالة:

تكشف نتائج الاستقصاء الجينولوجي أن توجيه دلالات آيات الحوار خضع بقوة لإكراهات أنظمة السلطة والمعرفة. فقد عملت المؤسسات التفسيرية التقليدية -تحت ضغط الصراعات السياسية- على تحويل آيات الحجاج من أدوات تحرير للعقل إلى قوالب تبريرية تمنح الشرعية للوضع القائم. وهذا التسييح أدى إلى طمس الذاكرة الحوارية للنص، حيث تم استبدال إرادة التعارف بإرادة الهيمنة. ويرى أركون (2001) أن هذا المسار التاريخي أنتج لامفكر فيه ضخماً حول قيم التعددية، حيث أصبحت القراءات التي تؤصل للعدل والقسط مع الآخر. قراءات هامشية أمام سطوة الخطابات التي تشرعن الإقصاء والتبعية والتقليد. قال تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8).

### 4- صياغة أفق جديد (استعادة القوة الفاعلة للنص):

تخلص النتائج إلى أن استعادة الطاقة التحررية للنص القرآني تتطلب قطعاً منهجياً مع أنساب العبودية والتقليد التي رسختها القوى الارتكاسية. وإن تفعيل آيات الحكمة والعدل في السياق المعاصر ليس مجرد استحضار نصوص، بل هو فعل جينولوجي يهدف لبناء خطاب حوارى يرتكز على الحرية والمسؤولية الفردية. ومن خلال استنطاق المسكوت عنه في آيات مثل: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ (الكافرون: 6)، يمكن صياغة أفق اعتراف متمايز يحطم أسوار المركزية الاستعلائية، ويؤسس لتعايش إنساني قائم على القسط والندية، بعيداً عن تسييح الهويات المنغلقة التي خلفتها القوى الارتكاسية عبر العصور (السنون، 2021؛ السطاني وبنعبد العالي، 1986).

بالنسبة للسؤال الثالث ونصه: كيف يتيح المنهج الجينولوجي الكشف عن اللامفكر فيه في آيات الاختلاف والحجاج القرآني، وتحليل آليات تفعيلها أو تعطيلها داخل نظام الخطاب؟

يعمل المنهج الجينولوجي في هذا البحث بوصفه أداة استقصائية لا تكفي بالقراءات السطحية للنص، بل تغوص في طبقات المعرفة المتراكمة للكشف عن اللامفكر فيه؛ وهو تلك المساحات المغيبة التي حجبها التسييح المعرفي عبر التاريخ. وإن فاعلية هذا المنهج تكمن في قدرته على فضح آليات التعطيل التي مارسها القوى الارتكاسية، وفي المقابل، وضع ميكانيزمات لتفعيل الطاقة التحررية الكامنة في آيات الاختلاف والحجاج، بما يعيد للنص حيويته التواصلية في الوعي المعاصر. ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

### 1- الجينولوجيا كأداة لاستنطاق المسكوت عنه:

في الحجاج القرآني أتاحت الجينولوجيا للبحث تجاوز القراءات التقليدية التي حصرت آيات الحجاج في خانة الإفحام العقدي، لتكشف عن اللامفكر فيه بوصفه إرادة تحرر شاملة. وتكشف النتائج أن المنهج استطاع استنطاق المسكوت عنه في طلب البرهان كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة: 111)؛ فبدلاً من كونه مجرد سجال، تبين

أنه ميكانيزم ديمقراطي لخلخلة المركزية الذاتية. وبحسب أركون (2001)، فإن هذا الاستقصاء يحزر النص من أنساب التبعية التي فرضتها أنظمة المعرفة التقليدية، ويعيد بناءه كفضاء مفتوح للمساءلة والمسؤولية الفردية.

## 2- تحليل آليات التعطيل: كيف يسيج الارتكاس النص؟

كشفت النتائج عن آليات دقيقة استخدمتها القوى الارتكاسية لتعطيل آيات الاختلاف والحكمة، وأبرزها التسيج التفسيري (السطاتي وبنعبد العالي، 1986). حيث تم تحويل آيات مثل: ﴿ادْفَعْ بِأَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: 34) من قوة فاعلة لإدارة النزاع إلى نصوص منسوخة أو مؤجلة الفعالية. وتفضح الجينولوجيا هنا إرادة القهر التي تعمدت تعطيل هذه الآيات لحساب خطاب الضغينة الذي يخدم الصراعات المذهبية والسياسية، مما أدى إلى تحويل النص من أداة تحرير للوعي إلى قالب تبريري يغذي الانغلاق وتسيج الهويات المنغلقة.

## 3- تفكيك التقييد الدلالي وكشف طبقات الحجب المعرفية:

يتميز المنهج الجينولوجي بقدرته على اختراق ما يمكن تسميته بالتقييد الدلالي (التفسير البدئي الذي ساد تاريخياً). وأظهرت النتائج أن هذا المنهج كشف كيف حجب الركام التفسيري طاقة الحوار في آية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾ (الكافرون: 6)، محولاً إياها من إعلان براءة واعتراف متمايز إلى مجرد وعيد أو تهديد. هذا الاستقصاء المنهجي سمح بفك الاشتباك بين النص في صيرورته الأولى وبين التأويلات الارتكاسية التي قيدته بظروف الصراع السياسي (المبالي، 2014).

## 4- آليات التفعيل (استعادة إرادة التعارف من أسر التقليد):

أتاح المنهج الجينولوجي ميكانيزمات لتفعيل المعاني المعطلة عبر إعادة ربطها بأصلها التواصلية. فبدلاً من الركون لأساطير الأولين في التفسير، يعمل المنهج على تفعيل آيات البر والقسط في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: 8) كأصل مرجعي. وإن تفعيل هذه الآيات جينولوجياً يعني -وفقاً لدراسة السنون (2021)- قطع الطريق على أخلاق العبيد القائمة على نفي الآخر، وتأسيس أخلاقيات اعتراف متمايز تقوم على الندية. وهذا التفعيل يعيد صياغة نظام الخطاب ليكون محركاً لإرادة التعارف الكونية.

## 5- خلخلة البنية اللغوية الإقصائية داخل نظام الخطاب:

كشفت المنهج الجينولوجي عن كيفية توظيف اللغة لتعطيل الحوار، حيث تم تسيج مفاهيم مثل الجدال والاختلاف دلاليّاً لتصبح مرادفة للفتنة أو المروق. وتتيح الجينولوجيا تفعيل هذه المفاهيم مجدداً بصفتها أدوات حكمة وموعظة حسنة، مما يفكك إرادة الوصاية اللغوية التي مارستها القوى الارتكاسية، ويسمح ببناء خطاب يربط بين قوة اللفظ وسماحة المعنى في الفضاء الإنساني.

## 6- صياغة خطاب ما بعد التقليد نحو حوارية مسؤولة:

تخلص النتائج إلى أن المنهج الجينيولوجي ليس مجرد نقد للماضي، بل هو أساس لبناء خطاب حوارى معاصر. ومن خلال الكشف عن اللامفكر فيه، يتم الانتقال من حوار الهيمنة إلى حوار المسؤولية القائم على حرية الذات. وهذا المنهج يوفر إرادة معرفة جديدة تستمد قوتها من آيات الحكمة والعدل. وبذلك ينجح البحث في تقديم رؤية تقطع مع العبودية والتقليد، وتفتح سبيل المعنى أمام أفق إنساني يتسع للتعددية والاعتراف المتبادل بالكرامة الوجودية (مولينا، 2019؛ السطاتي وبنعبد العالى، 1986).

**بالنسبة للسؤال الرابع ونصه: ما الأفق المعرفي الذي تتيحه إعادة قراءة أنساب المعنى في الخطاب القرآني لفهم إمكانات بناء خطاب حوارى معاصر قائم على البرهان والمسؤولية في الاختلاف؟**

إن الإجابة عن هذا التساؤل تمثل المنعطف التأسيسي في البحث؛ حيث ننتقل من تشريح أنساب الاستعلاء والقوى الارتكاسية إلى استشراف أفق معرفي جديد يعيد بناء الإنسان كذات برهانية ومسؤولة. وهذا الأفق ليس مجرد بديل فكري، بل هو استعادة للوظيفة الأنثروبولوجية للقرآن في فك الارتباط بين الحقيقة وبين إرادة القهر، وتأسيس خطاب حوارى كوني يرتكز على السيادة الأخلاقية والاعتراف المتبادل، وهو ما يمكن تفصيله في الآتي:

### 1- الانتقال من حوار الإفحام إلى أخلاقيات التواصل البرهاني:

تتيح إعادة قراءة أنساب المعنى اكتشاف أن البرهان في القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة: 111) لم يكن أداة للقهر المعرفي، بل كان شرطاً للحرية. والأفق المعرفي الجديد هنا يطرح الخطاب الحوارى بوصفه أخلاقيات تواصلية ترفض التحجر الدلالي الذي فرضته القوى الارتكاسية. وبحسب السطاتي وبنعبد العالى (1986)، فإن هذا الأفق يُعيد الاعتبار لسلطة العقل بوصفها ميزاناً كونياً يسبق الانتماءات الضيقة، مما يسمح ببناء فضاء عمومي معاصر يرتكز على الحجة لا على حجة القوة أو انغلاق الهوية.

### 2- تفكيك الانغلاق الذاتي وتأسيس الاعتراف المتميز:

يفتح البحث أفقاً لتفكيك ما يسمى بالانغلاق الذاتي (تلك الانغلاقات التي ترى في الآخر تهديداً). من خلال استعادة نسب المعنى في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾ (الكافرون: 6)، ننتقل من منطق التسامح السلبي (الذي يكتفي بالتحمل) إلى منطق الاعتراف الإيجابي (الذي يرى في الاختلاف ضرورة وجودية). وهذا الأفق المعرفي، كما يشير أركون (2001)، يتيح بناء خطاب يقطع مع أنساب الاستعلاء الإبليسية، ويؤسس لأنسنة حقيقية ترى في التعدد آية جمالية ومعرفية تغني الهوية ولا تنقصها.

### 3- استعادة اللامفكر فيه في المسؤولية الفردية تجاه الحقيقة.

يكشف الأفق المعرفي الجديد عن اللامفكر فيه في علاقة الفرد بالنص، وهو استقلال الذات المسؤولة. وتظهر إعادة قراءة أنساب المعنى أن القرآن حمل الفرد مسؤولية خياراته الفكرية كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مریم: 95). وهذا يتيح بناء خطاب حوارى معاصر يرفض التبعية والتقليد (أساطير الأولين)، ويجعل من الاجتهاد الحوارى واجباً أخلاقياً. فالحوار هنا ليس تفويضاً لسلطة معرفية، بل هو ممارسة لإرادة المعرفة الفاعلة التي تؤمن بأن الحقيقة نتاج بحث مشترك ومسؤول (السنون، 2021).

### 4- تحويل الضغينة التاريخية إلى إرادة تعارف كونية.

من أهم الآفاق المعرفية التي أتاحتها نتائج البحث القدرة على تشریح أخلاق الضغينة التي تراكمت في التفسير التاريخية الارتكاسية وتحويلها إلى إرادة تعارف. وإن استعادة نسب البر والقسط في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (المتحنة: 8) يتيح صياغة خطاب سياسى وأخلاقى معاصر يواجه خطابات الكراهية. وهذا الأفق يجعل من الآخر الإنسانى شريكاً في عمارة الأرض، ويؤسس لعالمية إسلامية منفتحة، تقطع مع الماهية المنغلقة التي تسيج الإنسان في قوالب جامدة (المياي، 2014).

### 5- خلخلة سلطة المركزية وتفعيل التعددية البرهانية.

يؤصل الأفق المعرفي الجديد لتعددية برهانية ترفض احتكار الحقيقة. فمن خلال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: 24)، نجد نسباً معرفياً يؤسس للتواضع المعرفي. وهذا الأفق يتيح بناء خطاب حوارى يدرك أن الامتلاك المطلق للمعنى هو نوع من الاستكبار المعرفي. وبذلك، يتم بناء خطاب معاصر يتسع للنسبية الأخلاقية والمنطقية في تدبير الشأن الإنسانى، مع إرجاع الحكم المطلق للخالق وحده، مما يحمي الفضاء الحوارى من التغول السلطوى (مولينا، 2019).

### 7- التأسيس لأنساب جديدة للقيمة تقوم على التقوى التواصلية:

يختم الأفق المعرفي بالعودة إلى معيار ﴿أَتَقَاكُمْ﴾، ولكن بإعادة فهمها جينبولوجياً بوصفها التقوى التواصلية؛ أي القدرة على حفظ حق الآخر والعدل معه في ذروة الاختلاف. وإن بناء خطاب يقطع مع العبودية والتقليد يقتضي جعل القيمة مرتبطة بمدى انفتاح الذات على البرهان وقبولها بالتعدد. وهذا الأفق يحول الحوار من ساحة قتال دلالي إلى فضاء رحمة ومعرفة، محققاً بذلك الغاية الأنثروبولوجية التي نادى بها النص القرآنى في أصل تكوينه.

## خلاصة:

كشفت الدراسة عبر رحلتها الاستقصائية أن جينولوجيا الاختلاف في الخطاب القرآني تمثل مساراً تحريراً جذرياً، بدأ بتفكيك أنساب الاستعلاء الأولى التي جسدها الموقف الإبليسي القائم على وهم الأفضلية المادية. وقد أثبتت النتائج أن القرآن الكريم نقل مفهوم الآخر من دائرة الصراع والصدام إلى أفق التأسيس الأنثروبولوجي، حيث غدا الاختلاف آية وجودية ومقصداً إلهياً يتجلى في إرادة التعارف. وإن هذا التحول يكرس اعترافاً متبادلاً بالكرامة الإنسانية، ويجعل من التعددية شرطاً قَبلياً لتحقيق الكمال البشري، بعيداً عن محاولات التنميط التي تفرضها أنظمة السلطة.

وفيما يخص أنظمة التلقي، أبانت النتائج عن جدلية محتدمة عبر المسار التاريخي بين قوى فاعلة تنزع نحو التواصل والبرهان، وقوى ارتكاسية هيمنت على القراءات التفسيرية وعملت على تقييد الدلالة وحجب الطاقة الحوارية للنص. ولقد كشف البحث عن محاولات تعطيل نصوص الحكمة والمجادلة والتي هي أحسن لصالح تأويلات صراعية تغذيها أخلاق الضغينة وإكراهات السلطة، مما أنتج مساحة واسعة من اللامفكر فيه حول قيم التعددية والعدل والقسط مع الآخر، وحول الحوار في كثير من الأحيان من أداة لتحرير العقل إلى قالب لتبرير الانغلاق والتبعية.

كما أثبتت الدراسة فاعلية المنهج الجينولوجي كأداة استقصائية قادرة على استعادة المسكوت عنه وتفكيك آليات التعطيل داخل نظام الخطاب. فمن خلال خلخلة البنية اللغوية الإقصائية والقطع مع أساطير الأولين في التفسير، أتاح المنهج إعادة تفعيل المعاني التواصلية الأصلية، وتأسيس أخلاقيات اعتراف تقوم على الندبة والمسؤولية. وإن هذا المسار لا يكتفي بنقد الماضي، بل يؤصل لخطاب ما بعد التقليد، حيث يستعيد الفرد استقلالته في البحث عن الحقيقة، ويتحول الحوار من إفحام عقدي إلى ممارسة برهانية تعيد بناء الإنسان كذات حرة ومستقلة.

وتخلص الدراسة إلى أن الأفق المعرفي الناتج عن إعادة قراءة أنساب المعنى أتاح بناء خطاب حوارى معاصر يتجاوز التسامح السلبي نحو الاعتراف الإيجابي. وإن استعادة روح البر والقسط والتقوى التواصلية تمثل المنعطف الضروري لتجاوز الانسداد التاريخي ومواجهة خطابات الكراهية. وبذلك، يتحول الاختلاف في ضوء القرآن من ساحة للنزاع الدلالي إلى فضاء كوني للرحمة والمعرفة، يؤمن بالتعددية البرهانية ويرفض احتكار الحقيقة، بما يحقق الغاية الأنثروبولوجية الكبرى في بناء عالم إنساني يتسع للجميع تحت مظلة العدل والكرامة الوجودية.

## التوصيات:

في ضوء نتائج البحث يمكن عرض التوصيات الآتية:

أولاً: على الصعيد المنهجي:

- الدعوة إلى اعتماد المنهج الجينيولوجي والاستقصائي في دراسة النص القرآني، لتفكيك التراكمات التأويلية التي حجبَت المقاصد الحوارية الأصلية خلف أسيجة الصراعات التاريخية.
- ضرورة التمييز بين النص في صيرورته الأولى وبين أنظمة التلقي التي قيدته دلاليًا، وذلك لاستعادة الطاقة التحريرية للخطاب القرآني من أسر التقليد.

ثانياً: على الصعيد المعرفي:

- العمل على تشريح القوى الارتكاسية في الفكر المعاصر التي ما زالت تستدعي أنساب الاستعلاء والجوهريانية المنغلقة لشرعنة الإقصاء والكرهية.
- إعادة تفعيل مفهوم اللامفكر فيه في آيات الحوار، خاصة ما يتعلق بالمسؤولية الفردية وحرية الاعتقاد، وتقديمها كأصول مرجعية لا كفروع منسوخة أو مؤجلة.

ثالثاً: على الصعيد التربوي والتعليمي:

- تطوير مناهج تعليمية تعيد صياغة مفهوم الاختلاف بوصفه آية جمالية ومقصداً إلهياً للتعارف، بدلاً من كونه مشكلة تتطلب الحل أو خلافاً يستوجب الإفحام.
- تكريس قيم التقوى التواصلية في الوعي الجمعي، بحيث يتم ربط القيمة الأخلاقية للفرد بمدى قدرته على الاعتراف بالآخر والعدل معه برغم الاختلاف العقدي أو الفكري.

رابعاً: على الصعيد الاجتماعي والسياسي:

- بناء خطاب حوارى ينطلق من وحدة الأصل الأنثروبولوجي، لمواجهة الانغلاق الفكري الذي يهدد السلم المجتمعي.
- تفعيل ميكانيزمات الاعتراف المتمايز بالآخر، لضمان انتقال الحوار من التسامح الهش إلى الندية البرهانية التي تحفظ الكرامة الوجودية لجميع الأطراف.

خامساً: على صعيد البحث المستقبلي:

- فتح آفاق لدراسات استقصائية مقارنة بين منهج الحوار في القرآن وبين نظريات التواصل الحديثة (مثل هابرماس أو أركون)، لمد الجسور بين الحكمة التراثية والفتوحات الفلسفية المعاصرة.

## المراجع:

### القرآن الكريم.

- أركون، محمد (2001). *القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني* (ترجمة هاشم صالح، ط1). بيروت: دار الطليعة.
- حسب النبي، محمد سعيد (2025). مفردة قيم الأخلاقية في الخطاب القرآني دراسة في لسانيات النص، *مجلة البحوث والدراسات الإنسانية*، ع 55.
- حسب النبي، محمد سعيد (2026). تجليات الفلسفة المثالية في الخطاب القرآني: مقارنة تحليلية لسانية، *مجلة العمران*، ع7، 62-8.
- زامل، يحيى حسين (2022). البعد الجينيولوجي في الخطاب الديني: تجليات ودلالات. *حوليات آداب عين شمس*، (9)50، 155-144.
- السطاتي، أحمد، وبنعبد العالي، عبد السلام، ومحمد، علوط (1986). نظام الخطاب وإرادة المعرفة: ميشيل فوكو، *مجلة عالم الفكر*، (2)17، 326-319.
- السنون، عبد الفتاح (2021). الجينيولوجيا ومجازة ميتافيزيقا القيم عند فريدريك نيتشه، *مجلة تدفقات فلسفية (PHILO)*، ع (1)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب. 80-100.
- الطيب، أحمد (2013). منهج القرآن في الحوار مع الآخر، *مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية*، (40)، 734-728.
- عاشور، سعد بن عبد الله بن حسان (2008). ضوابط الحوار مع الآخر، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية*، (1)16، 133-81.
- عايض، هيا (2014). قيم الحوار في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في الأسرة، *مجلة البحث العلمي في التربية*، جامعة عين شمس، (15) ج2، 122-92.
- العوكاز، عبد الواحد بن محمد (2021). الحوار في القرآن الكريم وأبعاده الحجاجية، *مجلة إبداعات تربوية*، ع 30، 75-65.
- ماريف، أحمد (2021). التجربة الجينيولوجية وسؤال البحث عن الحقيقة، أو الجينيولوجيا ودلالاتها في فلسفة نيتشه، *مجلة الحوار الثقافي*، (2)10، 63-42.
- مولينا، لينو (2019). الجينيولوجيا: نيتشه، دولوز، وفوكو (ترجمة السيد إمام)، *مجلة فصول*، (105)، 184-175.
- الميلي، سامي شهيد مشكور (2014). الحوار والتسامح في الخطاب القرآني، *حولية المنتدى للدراسات الإنسانية*، ع7، ج17، 73-55.
- نيتشه، فريدريتش (2010). *في جنياولوجيا الأخلاق* (ترجمة فتحي المسكيني، ط1). تونس: دار سيناترا/ المركز الوطني للترجمة.

وزين، فضل الهادي (2007). أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، *مجلة الدراسات الإسلامية*، الجامعة الإسلامية العالمية، 42(4)، 223-241.